

نَحَاتٌ

مِنْ عِلْمِ الْقُرْآنِ

تأليف

محمد أحمد مغيد

لدرسي مدرسي أبي بن كعب تحفيظ القرآن الكريم
الابتدائية والمتوسطة والثانوية
بالمدينة المنورة

الناشر

مكتبة طيبة

المدينة المنورة - شارع الساعة

ت ٨٢٢٣٣٠٤ - ص ٢١٨

مُلْتَزِم الطَّبْعِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ

مَكْتَبَةُ طَيْبَةَ

الطَّبَعَةُ الْأُولَى

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

مَكْتَبَةُ طَيْبَةَ

المَدِيْنَةُ المَحْضُورَةُ - شَارِعِ السَّاعَةِ
ت ٨٢٢٣٣٠٤ - ص ٢١٨

نَحَاسَاتُ
مِنْ جَلْوَمِ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد : -

فقد طلب مني الأستاذ الشيخ محمد صديق حسين الميمني ، مدير
مدرسة أبي بن كعب لتحفيظ القرآن الكريم الابتدائية والمتوسطة والثانوية
بالمدينة المنورة، أن أضع مذكرة في علوم القرآن للصف الأول الثانوي
بمدارس تحفيظ القرآن الكريم تتناسب مع مستوى الطلاب وموافقة لمنهج
وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية ، وتلبية لطلبه ، وخدمة لكتاب
الله تعالى ثم لطلاب العلم الشريف عامة ، وضعت هذه المذكرة المختصرة
في علوم القرآن ، وسميتها (نفحات من علوم القرآن) ، راجياً من الله العلي
القدير أن يتقبلها مني ، وأن يجعلها نافعة ومفيدة وأن يثقل بها ميزان
حسناتي وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، إنه سميع مجيب .

خادم القرآن الكريم والعلم

محمد أحمد معبد

المدرّس بمدرسة أبي بن كعب لتحفيظ القرآن الكريم
الابتدائية والمتوسطة والثانوية
بالمدينة المنورة

مقدمة عن علوم القرآن الكريم

س: ما المقصود بعلوم القرآن؟

ج: المقصود بعلوم القرآن، الأبحاث التي تتعلق بهذا الكتاب العظيم الخالد. من حيث نزوله، وجمعه، وتدوينه، وترتيب آياته وسوره، ومعرفة المكي منه والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وتفسير آياته، ومعرفة أحكامه وغير ذلك من الأبحاث الكثيرة التي تتعلق بالقرآن العظيم أو لها صلة به..

س: ما هو الغرض من هذه الدراسة؟

ج: الغرض من هذه الدراسة، فهم كلام الله تعالى على ضوء ما جاء عن رسول الله ﷺ من توضيح وبيان، وما نقل عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين. حول تفسيرهم لآيات القرآن، وأيضاً معرفة طرق المفسرين، وأساليبهم في التفسير مع بيان مشاهيرهم، ومعرفة خصائص كل منهم، وشروط التفسير وغير ذلك من حقائق هذا العلم المفيد.

ولقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه يعرفون عن القرآن وعلومه ما عرف العلماء وفوق ما عرف العلماء في كل عصر. ولكن معارفهم لم توضع في

ذلك العهد كفنون مدونة ولم تجمع في كتب مؤلفة، لأنهم لم تكن لهم حاجة إلى التدوين والتأليف.

- أما الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فلأنه كان يتلقى الوحي عن الله وحده لا شريك له. والله تعالى كتب على نفسه الرحمة، ومن رحمته تعالى برسوله الكريم، جمعه القرآن له في صدره، وإطلاق لسانه بقراءته وترتيبه، وكشف له عن أسراره ومعانيه. إقرأ قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ (١٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۚ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتَهُ ۚ (١٩)﴾.

ولقد بلغ الرسول ﷺ ما أنزل عليه لأصحابه، ثم شرح لهم القرآن بقوله وبعمله وبتقريره وبخلقه، أي بستته الجامعة لأقواله وأفعاله، مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١)

- وأما الصحابة رضوان الله عليهم فكانوا وقتئذ عرباً خلصاً متمتعين بجميع خصائص العروبة ومزاياها الكاملة، من قوة في الحافظة، وذكاء في القريحة، وتذوق للبيان، وتقرير للأساليب، ووزن لما يسمعون بأدق المعايير حتى أدركوا من علوم القرآن، ومن إعجازه بسليقتهم وصفاء فطرتهم، ما لا نستطيع نحن أن ندركه مع زحمة العلوم وكثرة الفنون.

(١) سورة القيامة، الآيات ١٦، ١٧، ١٨، ١٩.

(٢) سورة النحل، آية ٤٤.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم مع هذه الخصائص أميين، وأدوات الكتابة لم تكن ميسرة لديهم والرسول ﷺ قد نهاهم عن أن يكتبوا عنه شيئاً غير القرآن. وقال لهم في أول العهد عند نزول القرآن فيما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

س: ما سبب نهي رسول الله ﷺ عن الكتابة لغير القرآن؟
ج: سبب نهي رسول الله ﷺ عن الكتابة لغير القرآن. مخافة أن يلتبس القرآن بغيره، أو يختلط بالقرآن ما ليس منه ما دام الوحي نازلاً بالقرآن الكريم.

فلتلك الأسباب المتضاربة لم تكتب علوم القرآن كما لم يكتب الحديث الشريف. ومضى الرعيل الأول على ذلك في عهد الشيخين الكبيرين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما. ولكن الصحابة كانوا مضرب الأمثال في نشر الإسلام وتعاليمه، والقرآن وعلومه، والسنة وتحريرها. تلقيناً لا تدويناً، ومشافهة لا كتابة.

ثم جاءت خلافة عثمان رضي الله عنه وقد اتسعت رقعة الإسلام واختلط العرب الفاتحون بالأمم التي لا تعرف العربية، وخيف أن تذوب خصائص العروبة من هؤلاء العرب الخالص من جراء هذا الفتح والاختلاط. بل خيف على القرآن نفسه أن يختلف المسلمون فيه، فأمر عثمان رضي الله عنه بجمع القرآن في مصحف إمام، وأن تنسخ منه مصاحف يبعث بها إلى أقطار الإسلام، وأن يحرق الناس كل ما عداها ولا يعتمدوا شيئاً سواها، كما سيأتيك في باب جمع القرآن

وتدوينه إن شاء الله تعالى . وبهذا العمل العظيم وضع عثمان رضي الله عنه الأساس لما نسميه علم (رسم القرآن أو علم الرسم العثماني).

ولكن هذه المهمة في النشر يصح أن نعتبرها كتمهيد لتدوينها . وكان على رأس من ضرب بسهم وفير في هذه الرواية: الخلفاء الأربعة، وابن عباس، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، وكلهم من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . وكان على رأس التابعين في تلك الرواية: مجاهد، وعطاء، وعكرمة، وقتادة، والحسن البصري ومالك بن أنس من تابعي التابعين رضي الله عنهم أجمعين.

وهؤلاء جميعاً يعتبرون أنهم هم واضعو الأساس لما يسمى علم التفسير، وعلم أسباب النزول، وعلم النسخ والمنسوخ، وعلم غريب القرآن، ونحو ذلك . وستجد بسطاً لهذا الإجمال في باب إن شاء الله تعالى .

ثم جاء عصر التدوين: فألفت كتب في أنواع علوم القرآن . واتجهت المهتم قبل كل شيء إلى التفسير باعتباره أم العلوم القرآنية لما فيه من التعرض لها . ومن أوائل الذين كتبوا في التفسير شعبة بن الحجاج، ووكيع بن الجراح، وسفيان بن عيينة، وتفاسيرهم جامعة لأقوال الصحابة والتابعين . وهؤلاء من علماء القرن الثاني الهجري، ثم تلاهم ابن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠ هـ) وكتابه من أجل التفاسير وأعظمها .

أما علوم القرآن الأخرى ففي مقدمة المؤلفين فيها: علي بن المديني شيخ الإمام البخاري إذ أنه أُلّف في أسباب النزول، وأبو عبيد القاسم بن سلام إذ كتب في النسخ والنسخ، وكلاهما من علماء القرن الثالث الهجري.

وفي مقدمة من أُلّف في غريب القرآن: أبو بكر السجستاني، وهو من علماء القرن الرابع الهجري. وفي طليعة من صنف في إعراب القرآن علي بن سعيد الحوفي، وهو من علماء القرن الخامس الهجري. ومن أوائل من كتب في مبهمات القرآن: أبو القاسم عبد الرحمن المعروف بالسبيلي وهو من علماء القرن السادس الهجري. وفي القراءات: علم الدين السخاوي، وهو من علماء القرن السابع الهجري. وهكذا قويت العزائم وتبارت الهمم، ونشأت علوم جديدة للقرآن وظهرت مؤلفات في كل نوع منها، سواء كان ذلك في أقسام القرآن أو أمثال القرآن أو حجج القرآن أو بدائع القرآن أو رسم القرآن، وما أشبه ذلك. ثم لا يزال المؤلفون إلى عصرنا هذا يزدون، وعلوم القرآن ومؤلفاته تنمو وتزدهر وتزيد. أليس هذا إعجازاً آخر للقرآن الكريم؟ يريك إلى أي حد بلغ علماء الإسلام في خدمة التنزيل، ويريك أنه كتاب لا تفتنى عجائبه، ولا تنقضي معارفه. ولن يستطيع أحد أن يحيط بأسراره إلا صاحبه ومنزله. جل جلاله.

والله تعالى أعلم.

أسئلة وتطبيقات

س ١: أذكر الحديث الشريف الذي نهى فيه رسول الله ﷺ عن كتابة شيء سوى القرآن في حياته؟

س ٢: من الذي وضع الأساس لما نسميه علم رسم القرآن أو علم الرسم العثماني؟

س ٣: أذكر أسماء أربعة من صحابة رسول الله ﷺ الذين مهدوا لتدوين علوم القرآن الكريم.

س ٤: أذكر أسماء العلوم القرآنية التي ألف فيها هؤلاء العلماء الأفاضل:

١ - علي بن المديني شيخ الإمام البخاري.

٢ - أبو عبيد القاسم بن سلام.

٣ - علم الدين السخاوي.

س ٥: من هو أول من كتب في علم التفسير؟

تعريف القرآن الكريم

س: ما هو القرآن الكريم؟

ج: القرآن الكريم: هو كلام الله تعالى المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ. بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس، والمتحدى بأقصر سورة منه. (فالكلام) جنس في التعريف يشمل كل كلام. وإضافته إلى الله تعالى تخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة. (والمنزّل) تخرج كلام الله تعالى الذي استأثر به سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَتِ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَانَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ (٢).

وبقولنا المنزل على محمد ﷺ يخرج ما أنزل على الأنبياء من قبله مثل التوراة والإنجيل وغيرها. وجملة (المتعبد بتلاوته) تخرج قراءات

(١) سورة الكهف آية ١٠٩.

(٢) سورة لقمان آية ٢٧.

الأحاد والأحاديث القدسية، إذا صح أنها منزلة من عند الله بألفاظها، لأن التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها، على وجه العبادة، وليست قراءة الأحاد والأحاديث القدسية كذلك. (١).
والله تعالى أعلم

(١) مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص ١٨ بتصرف.

أسئلة وتطبيقات

- س ١: أذكر تعريف القرآن الكريم.
- س ٢: ماذا يستفاد من كلمة (المنزل)؟
- س ٣: ماذا تخرج عبارة (المتعبد بتلاوته)؟

الفرق بين القرآن والحديث النبوي والحديث القدسي

س: سبق أن ذكرنا تعريف القرآن فما هو تعريف الحديث النبوي والحديث القدسي؟

ج: أولاً: الحديث النبوي:

الحديث في اللغة ضد القديم، ويطلق ويراد به كل كلام يتحدث به وينقل ويبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي، في يقظته أو في منامه. وبهذا المعنى سمي القرآن حديثاً. مصداق ذلك قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (١)

وأما الحديث في الاصطلاح: فهو ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

س: ما هو مثال القول؟

ج: مثال القول، كقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» (٢).

رواه البخاري

(١) سورة النساء آية ٨٧.

(٢) من حديث طويل رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

س : ما هو مثال الفعل؟

ج : مثال الفعل ، كالذي ثبت من تعليمه ﷺ لأصحابه كيفية الصلاة ثم قال ﷺ لهم : «صلوا كما رأيتموني أصلي»^(١) . وما ثبت أيضاً من حجه ﷺ ، وقد قال حينئذ : «خذوا عني مناسككم»^(٢) .

رواه البخاري

س : ما هو مثال الاقرار؟

ج : مثال التقرير أو الإقرار كأن يُقرّ أمراً علمه عن أحد من الصحابة من قول أو فعل . سواء أكان ذلك في حضرته ﷺ أم في غيبته ثم بلغه ذلك . ومن أمثلة ذلك :

أولاً : - أكل الضب على مائدته صلوات الله وسلامه عليه (رغم أنه لم يأكل منه) . فهذا يعتبر إقراراً منه ﷺ بإباحة أكله . كما في الصحيحين .

ثانياً : - ما روي أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية . وكان هذا الرجل يقرأ في صلاته فيختم قراءته بقراءة سورة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .

فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ . فقال ﷺ «سلوه لأي شيء يصنع ذلك» فلما سألوه قال : لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : «أخبروه أن الله يحبها»^(٣) هكذا في باب فضائل القرآن للبخاري .

(١) رواه البخاري .

(٢) أخرجه مسلم وأحمد والنسائي .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

س: ما هو مثال الصفة؟

ج: مثال الصفة كما روي من أنه صلى الله عليه وسلم كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صحّاب ولا فحّاش ولا عيّاب. بل كان صلوات الله وسلامه عليه كامل الصفات الحميدة كلها.

ثانياً: - الحديث القدسي

س: عرفنا فيما سبق تعريف القرآن وتعريف الحديث النبوي فما هو تعريف الحديث القدسي حتى نعرف الفرق بينهم؟

ج: عرفنا فيما سبق تعريف كلمة الحديث في اللغة. وأما كلمة القدسي، فنسبة إلى التقديس وهي نسبة تدل على التشريف والتعظيم لأن مادة هذه الكلمة تدل على التنزيه والتطهير في اللغة. فالتقديس هو تنزيه الله تعالى. والتقديس هو التطهير. وتقدس: أي تطهر وقد قال الله تعالى حكاية عن ملائكته: ﴿وَوَحْنُ نُسُحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾^(١) أي نعظمك ونكبرك. وأما تعريف الحديث القدسي في الاصطلاح: هو ما يضيفه النبي ﷺ من الكلام إلى الله تعالى. أي أن النبي ﷺ يرويه على أنه من كلام الله تعالى. فالرسول راوٍ لكلام الله تعالى بلفظ من عنده ﷺ، وإذا رواه أحد يكون قد رواه عن رسول الله ﷺ مسنداً إلى الله عز وجل، فيقول مثلاً: - قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل. أو يقول: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى. أو يقول الله تعالى.

(١) سورة البقرة آية ٣٠.

فمثال الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: ﴿يد الله ملأى لا تغضيها نفقة سخاء الليل والنهار﴾^(١).

ومثال الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: ﴿أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم﴾^(٢). فالرسول ﷺ إذا تحدث بالحديث النبوي لم ينسبه إلى ربه جل وعلا، وإذا تحدث بالحديث القدسي نسبه إلى الله عز وجل. والله تعالى أعلم... .

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

أسئلة وتطبيقات

- س ١: عرّف الحديث النبوي في الاصطلاح؟
- س ٢: ما مثال القول؟ وما مثال الفعل؟ وما مثال الإقرار؟
- س ٣: أذكر تعريف الحديث القدسي في الاصطلاح
- س ٤: أذكر مثلاً على إسناد الحديث القدسي إلى الله تعالى عن لسان رسول الله ﷺ.
- س ٥: ما معنى الحديث في اللغة؟

الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي

س: ما الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي؟

ج: هناك عدة فروق بين القرآن الكريم والحديث القدسي نذكر أهمها فيما يلي:

أولاً: أن القرآن الكريم كلام الله تعالى أوحى الله به إلى رسوله محمد ﷺ بلفظه وتحدى به (أي بالقرآن) العرب جميعاً فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله أو بسورة واحدة من مثله، ولا يزال التحدي به قائماً إلى يوم القيامة، فهو معجزة خالدة إلى يوم الدين. وهذا بخلاف الحديث القدسي فلا يتحدى بتلاوته.

ثانياً: القرآن الكريم لا ينسب إلا إلى الله تعالى فيقال: قال الله تعالى. والحديث القدسي كما سبق - قد يروى مضافاً إلى الله تعالى وتكون النسبة إليه حينئذ نسبة إنشاء. فيقال: قال الله أو يقول الله تعالى. وقد يروى مضافاً إلى رسول الله ﷺ وتكون النسبة حينئذ نسبة إخبار لأنه ﷺ هو المخبر به عن الله عز وجل فيقال: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل.

ثالثاً: القرآن الكريم كله منقول بطريق التواتر، فهو قطعي الثبوت. والأحاديث القدسية أكثرها أخبار آحاد، فهي ظنية الثبوت. وقد

يكون الحديث القدسي صحيحاً وقد يكون حسناً وقد يكون ضعيفاً. أما القرآن فلا تعتريه هذه الأحوال، لأنه كله صحيح من عند الله. وابعاً: القرآن الكريم من عند الله تعالى لفظه ومعناه. فهو وحي باللفظ والمعنى. والحديث القدسي معناه من عند الله تعالى ولفظه من عند رسول الله ﷺ على القول الصحيح فهو وحي بالمعنى دون اللفظ ولذا تجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدثين^(١).

خامساً: القرآن الكريم متعبد بتلاوته فهو الذي تتعين القراءة به في الصلوات لقوله تعالى: ﴿فَأَقْرَأْ وَآمَّا تَيْسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^(٢). فقراءته في الصلاة وفي غير الصلاة عبادة يثيب الله تعالى عليها كما جاء في الحديث الشريف: «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول آلم حرف. ولكن ألف حرف. ولام حرف. وميم حرف»^(٣).

وبالمقابل لهذا فإن الحديث القدسي لا يجزىء في الصلاة ويثيب الله عليه ثواباً عاماً. فلا يتحقق في قراءته الثواب الذي ورد ذكره في الحديث الشريف على قراءة القرآن الكريم بكل حرف عشر حسنة وبهذا يكون قد اتضح الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي. والله أعلم.

(١) هكذا يتصرف من كتاب (مباحث في علوم القرآن) للشيخ مناع القطان.

(٢) سورة المزمل آية ٢٠.

(٣) رواه الترمذي عن ابن مسعود وقال حديث حسن صحيح.

أسئلة وتطبيقات

س ١ : هناك عدة فروق بين القرآن الكريم والحديث القدسي ، أذكر ثلاثة منها .

س ٢ : أذكر الحديث الذي ورد في فضل قراءة القرآن وأجر الثواب على قراءته .

الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي

س: عرفنا فيما سبق الفرق بين القرآن والحديث القدسي، فما هو الفرق بين
الحديث القدسي والحديث النبوي؟

ج: الحديث النبوي قسمان: قسم توقيفي وقسم توقيفي.

س: ما هو التوقيفي؟

ج: القسم التوقيفي: هو الذي تلقى الرسول صلوات الله وسلامه عليه
مضمونه من الوحي فيبينه للناس بكلامه ﷺ. وهذا القسم التوقيفي
وإن كان مضمونه منسوباً إلى الله جل وعلا فإنه (من حيث هو كلام)
حريّ بأن ينسب إلى الرسول ﷺ، لأن الكلام إنما ينسب إلى قائله وإن
كان ما فيه من المعنى قد تلقاه من غيره.

س: ما هو القسم الثاني (التوقيفي)؟

ج: القسم الثاني التوقيفي: هو الذي استنبطه الرسول صلوات الله
وسلامه عليه من فهمه للقرآن بتوفيق من الله تعالى، لأنه صلوات الله
وسلامه عليه مبيّن للقرآن. أو استنبطه بالتأمل والاجتهاد، وهذا
القسم الاستنباطي الاجتهادي من الرسول ﷺ يقره الوحي إذا كان
صواباً، وإذا وقع فيه خطأ جزئياً نزل الوحي بالصواب. ومثال ذلك
ما وقع في أسرى بدر فإن الرسول ﷺ أخذ برأي أبي بكر وقيل من

الأسرى الفداء، فنزل القرآن الكريم بالصواب للنبي ﷺ. بقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْجِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (١).
 وتبين من ذلك أن الأحاديث النبوية بقسميها التوقيفي والتوفيقي، يمكن أن يقال عنها أن مردها جميعاً بجملتها إلى الوحي، وهذا معنى قوله تعالى في رسولنا الكريم ﷺ: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (٢).

ولكن الحديث القدسي معناه من عند الله عز وجل يلقي المعنى إلى الرسول ﷺ بأي كيفية من كيفية الوحي. أما ألفاظه فمن عند رسول الله ﷺ على الراجح ونسبته إلى الله تعالى نسبة للمضمون وليست نسبة للألفاظ. ولو كان لفظ الحديث القدسي من عند الله لما كان هناك فرق بينه وبين القرآن ولوقع به التحدي بأسلوبه والتعبد بتلاوته.
 والله تعالى أعلم.

(١) سورة الأنفال آية (٦٧).

(٢) سورة النجم آية ٣، ٤.

أسئلة وتطبيقات

- س ١ - للحديث النبوي قسمان فما هما مع التوضيح؟
- س ٢ - مما درست تبين لك الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي فما هو؟

نزول القرآن الكريم

س: ما هي كيفية نزول القرآن الكريم؟

ج: القرآن الكريم: أنزله الله تبارك وتعالى على رسولنا محمد ﷺ لهداية البشر أجمعين فكان نزوله حدثاً عظيماً يشير إلى مكانته لدى أهل السماء وأهل الأرض. وقد شرف الله هذا القرآن بأن جعل له تنزلات ثلاث.

س: ما هو التنزل الأول للقرآن الكريم؟

ج: التنزل الأول: إلى اللوح المحفوظ، ودليله قوله تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾^(١) ولقد كان هذا التنزل إلى اللوح المحفوظ بطريقة وفي وقت لا يعلمها إلا الله تعالى ومن أطلعه على غيبه من خلقه. وكان جملة لا مفرقاً. وهذا هو الظاهر من اللفظ القرآني عند الإِطلاق. ولأن أسرار تنجيم القرآن على النبي ﷺ لا يعقل تحققها في هذا التنزيل لأن الرسول لم يكن قد بُعث بعد.

س: ما هو التنزيل الثاني للقرآن المجيد؟

ج: التنزيل الثاني للقرآن الكريم كان إلى بيت العزة في السماء الدنيا. والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٢).

(١) سورة البروج آية ٢١، ٢٢.

(٢) سورة القدر آية ١.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾^(١). وقوله تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾^(٢). وقد دلت هذه الآيات الثلاث على أن القرآن أنزل في ليلة واحدة توصف بأنها مباركة أخذاً من آية سورة الدخان، وتسمى ليلة القدر أخذاً من سورة القدر، وهي من ليالي شهر رمضان أخذاً من آية سورة البقرة. وهذا التنزل أيضاً كان جملة لا منجماً. وهذا التنزل الثاني يعتبره بعض العلماء التنزل الأول^(٣).

س: ما هو التنزل الثالث للقرآن الكريم؟

ج: التنزل الثالث للقرآن الكريم كان بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام حيث نزل به منجماً (أي مفزقاً) على قلب المصطفى ﷺ، على مدى ثلاث وعشرين سنة، وهذه هي فترة نزول الوحي من حين البعثة إلى وفاته ﷺ. ولقد كانت هذه المرحلة الأخيرة للتنزلات الثلاثة هي التي شاع منها النور على العالم ووصلت بها هداية الله تعالى إلى الخلق.

ودليل هذا التنزل الأخير قول الله تعالى مخاطباً للرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٦﴾ عَلَيَّ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿٤﴾ ودليل نزول

(١) سورة الدخان آية ٣.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٥.

(٣) انظر كتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ٣٩ - ٤٤.

(٤) سورة الشعراء من آية ١٩٢ - ١٩٥.

القرآن منجماً قول الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى
مَكْتَبٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا
نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ
تَرْتِيلًا﴾^(٢). صدق الله العظيم.

والله تعالى أعلم.

(١) سورة الإسراء آية ١٠٦.

(٢) سورة الفرقان آية ٣٢.

أسئلة وتطبيقات

- س ١ - أذكر التنزل الثاني للقرآن مع ذكر الدليل .
- س ٢ - ما هو التنزل الثالث مع ذكر ما يدل عليه من القرآن الكريم؟
- س ٣ - ما معنى: نزل منجماً؟
- س ٤ - في كم عام نزل القرآن على رسول الله ﷺ؟

مراحل جمع القرآن وتدوينه

س: ما هي مراحل جمع القرآن الكريم وتدوينه؟

ج: جُمع القرآن الكريم (أي بمعنى كُتب) على ثلاث مراحل.

المرحلة الأولى: جمعه في العهد النبوي الشريف.

المرحلة الثانية: جمعه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المرحلة الثالثة: جمعه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

س: كيف كانت طريقة كتابته في عهد رسول الله ﷺ؟

ج: كانت طريقة جمعه في العهد النبوي الشريف، عبارة عن كتابة الآيات

وترتيبها ووضعها في مكانها الخاص من سورها. فقد كانوا يكتبون

القرآن على العسيب^(١) واللخاف^(٢) والرقاع^(٣) وعظام الأكتاف

وغيرها. وذلك لأن صنع الورق لم يكن مشتهراً عند العرب في ذلك

الوقت. بل كان عند الفرس والروم. ويصعب الحصول عليه في ذلك

الحين.

(١) العسيب: جمع عصب وهو جريد النخل بعد كشف الخوص عنه.

(٢) اللخاف: جمع لخفة (يفتح اللام وسكون الخاء) وهي الحجارة الرقيقة.

(٣) الرقاع: جمع رقعة وهي قد تكون من الجلد أو الورق أو غيرها.

س: ما هو المقصود من هذا الجمع؟

ج: المقصود من هذا الجمع (أي الذي بمعنى الكتابة) زيادة التحري في ضبط ألفاظ القرآن وحفظ كلماته زيادة على ما في ذلك من تقديس القرآن والتنبيه على رفعة شأنه كما كان الشأن في تقييد الأشياء النفيسة. هذا وإن كان المعمول به في ذلك الوقت هو مجرد الحفظ في الصدور. وكانت صدورهم منسوحة للقرآن تماماً حفظاً وكتابةً وتطبيقاً لأحكامه.

س: هذا في عهد الرسول ﷺ فكيف جمع في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه؟

ج: أما جمعه في عهد أبي بكر الصديق فكان عبارة عن نقل القرآن جميعه من العسيب واللخاف والرقاع والعظام وكتابته في مكان واحد وهي الصحف مرتبة الآيات والسور مقتصرة فيه على ما ثبتت قرآنيته بالتواتر.

س: ما هو الغرض من هذا الجمع في عهد أبي بكر الصديق؟ ولماذا؟

ج: كان الغرض من هذا الجمع الاحتياط والمبالغة في حفظ هذا الكتاب خوفاً عليه أو على شيء منه من الضياع بسبب موت كثير من حملته وحفاظه الكبار الذين قتل منهم عدد يزيد على (٧٠) سبعين في معركة اليمامة. وقد روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: - أرسل إلي أبو بكر رضي الله عنه مقتل أهل اليمامة (أي عقب استشهاد كبار الحفاظ) فإذا عمر جالس عنده، فقال أبو بكر: إن عمر جاءني فقال (إن القتل قد استحرّ - أي كثر واشتد) - يوم اليمامة

بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن، فيذهب من القرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت: وكيف أفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ، فقال عمر رضي الله عنه: هو والله خير، فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأى. قال زيد بن ثابت، فقال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك. وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن واجمه. قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ قال: (أي أبو بكر) هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر. فتتبع القرآن أجمعه من العسيب واللخاف وصدور الرجال. ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾^(١) إلخ. أي حتى خاتمة سورة براءة. فكانت هذه هي الصحف الأولى للقرآن الكريم التي كانت عند أبي بكر حتى توفاه الله تعالى، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم أجمعين.

فهذه الرواية دلت على سبب وطريقة جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

رواه البخاري^(٢)

(١) سورة التوبة آية ١٢٨ و ١٢٩.

(٢) أنظر صحيح البخاري في باب جمع القرآن الكريم.

س: عرفنا مما سبق طريقة جمعه في العهد النبوي وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكيف جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه؟ ولماذا؟

ج: الجمع في عهد عثمان رضي الله عنه للقرآن كان عبارة عن نقل ما في الصحف السابقة في مصحف هو الإمام. ثم نسخت منه مصاحف أرسلت إلى الأقطار الإسلامية. وكان المقصود من جمع القرآن وكتابته في تلك المصاحف، الاقتصار على ما ورد من القراءات الثابتة المتواترة دون ما لم يكن كذلك من الأوجه التي نزلت أولاً للتيسير. ثم نسخت بالعرضة الأخيرة من الرسول ﷺ على أمين الوحي جبريل عليه السلام.

وفي سبب جمع عثمان للقرآن الكريم روى البخاري (١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب (أي القرآن) اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في مصحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان. فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في مصحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من

(١) أنظر صحيح البخاري في باب جمع القرآن الكريم.

القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى نسخوا الصحف في المصحف الإمام. ثم نسخوا منه نسخاً. وردّ عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في صحيفة أو مصحف أن يحرق^(١).

س: ما الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان للقرآن؟

ج: الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان نستطيع أن نحدده فيما يأتي:

أولاً: الجمع في عهد أبي بكر كان عبارة عن نقل القرآن وكتابته في صحف مرتب الآيات. وكان من العسيب واللخاف والرقاع. وكان سبب الجمع هو (موت كثير من الحفاظ) في معركة اليمامة.

ثانياً: أما جمع عثمان فكان عبارة عن نسخ عدة نسخ من الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر إلى مصاحف لترسل إلى الأفاق الإسلامية. وكان سبب النسخ هو (اختلاف القراء) في قراءات القرآن^(٢).

والله تعالى أعلم.

(١) أنظر صحيح البخاري في باب جمع القرآن الكريم.

(٢) هكذا من كتاب التبيان في علوم القرآن للصابوني بتصرف.

أسئلة وتطبيقات

- س ١ - أذكر العهود التي جمع فيها القرآن الكريم .
- س ٢ - ما هو السبب في جمع القرآن في عهد كل من أبي بكر وعثمان؟
- س ٣ - ما الفرق بين جمع أبي بكر وعثمان للقرآن؟

ترتيب آيات وسور القرآن وأسمائه وأجزائه وأقسامه

س: هل ترتيب الآيات والسور وأسماء القرآن وأجزائه وأقسامه توقيفي أم غير توقيفي؟

ج: الترتيب منه ما هو توقيفي ومنه ما هو غير توقيفي. وإليك بيان ذلك مفصلاً:

أولاً: ترتيب آيات القرآن

ترتيب الآيات من القرآن الكريم توقيفي عن رسول الله ﷺ. وقد حكى بعضهم الإجماع على ذلك: منهم الزركشي في (البرهان في علوم القرآن) وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته إذ يقول (ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وبأمره من غير خلاف بين المسلمين فقد كان جبريل عليه السلام ينزل بالآيات على رسول الله ﷺ ويرشده إلى موضعها من السورة أو الآيات التي نزلت قبلها. فيأمر الرسول ﷺ كتاب الوحي بكتابتها في موضعها ويقول لهم (ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا). وعن عثمان بن أبي العاص قال: (كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع في هذه السورة). وهي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي

أَلْقُرْآنِي... ﴿١﴾ إلى آخرها. من هنا يتضح لنا أن ترتيب الآيات توقيفي عن رسول الله ﷺ.

ثانياً: ترتيب السور.

ترتيب السور اختلف فيه العلماء. فقول إنه توقيفي تولاه الرسول ﷺ كما أخبره جبريل عن أمر ربه، فكان القرآن على عهد النبي ﷺ مرتب السور كما كان مرتب الآيات على هذا الترتيب الذي لدينا اليوم. وهو ترتيب مصحف عثمان الذي لم يتنازع أحد من الصحابة فيه. مما يدل على عدم المخالفة والإجماع عليه. ويؤيد هذا الرأي أن رسول الله ﷺ قرأ بعض السور مرتبة في صلاته.

روى ابن أبي شيبة أنه عليه الصلاة والسلام كان يجمع المفصل في ركعة. وقيل: إن ترتيب السور باجتهاد الصحابة بدليل اختلاف مصاحفهم في الترتيب. فمصحف (علي) كرم الله وجهه كان مرتباً على النزول أوله سورة (اقرأ ثم المدثر ثم ن والقلم ثم المزل) وهكذا إلى آخر المكي والمدني. وكان أول مصحف ابن مسعود سورة (البقرة ثم النساء ثم آل عمران). وكان أول مصحف (أبي بن كعب) سورة (البقرة ثم النساء ثم آل عمران).

والصواب الأول: حيث أن الرأي القائل بترتيب السور باجتهاد الصحابة لم يستند إلى دليل يعتمد عليه (٢).

(١) سورة النحل آية ٩٠.

(٢) أنظر كتاب الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ص ٦٠، ٦١ ج ١.

ثالثاً: أسماء القرآن الكريم.

أسماء القرآن كثيرة، وقد ذكر في كتاب البرهان في علوم القرآن أن الله تعالى سمي القرآن بخمسة وخمسين اسماً. وحيث أن مبدأنا في هذه المذكرة الاختصار فإننا سنقتصر على ذكر بعض أسمائه المشهورة ومنها:

١ - قد سماه الله تعالى (القرآن) فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١).

٢ - سماه الله تعالى (الكتاب) فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرٌ كَرِيمٌ﴾^(٢).

٣ - سماه الله تعالى (الفرقان) فقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٣).

٤ - سماه الله تعالى (الذكر) فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٤).

٥ - سماه الله تعالى (التنزيل) فقال تعالى: ﴿وَإِنهٗمُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥).

(١) سورة الإسراء آية ٩.

(٢) سورة الأنبياء آية ١٠.

(٣) سورة الفرقان آية ١.

(٤) سورة الحجر آية ٩.

(٥) سورة الشعراء آية ١٩٢.

إلى غير ذلك مما ورد في القرآن. وقد غلب من أسماؤه إسمان (القرآن) و(الكتاب).

رابعاً: أقسامه وأجزاؤه.

لقد كانت المصاحف العثمانية خالية من النقط والشكل كما كانت خالية من التجزئة أيضاً. ثم قامت طائفة فقسمت القرآن ثلاثين قسماً، وأطلقت على كل قسم منها (الجزء) وقسمت هذا الجزء إلى حزبين. وقسمت الحزب إلى أربعة أرباع. وأطلقت على كل جزء منها اسم الربع. وكل ذلك معروف لا يكاد يجمله أحد.

ومن كتاب الوحي في الصدر الأول من كان يضع ثلاث نقط عند آخر كل فاصلة من فواصل الآيات إعلماً بانقضاء الآية. ويكتب لفظ خمس عند انقضاء خمس آيات من السورة ولفظ عشر عند انقضاء عشر آيات منها كذلك. فإذا انقضت خمس آيات أخرى أعاد كتابة لفظ خمس. فإذا صارت عشراً أعاد كتابة عشر. ولا يزال هكذا إلى آخر السورة، ولذا قال قتادة: (بدءوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا). ومنهم من كان يكتب اسم السورة وكونها مكية أو مدنية، ويكتب عدد آياتها في آخرها. وقد اختلف العلماء في ذلك كله. فأجازوه قوم مع الكراهة. وآخرون بلا كراهة. وهذا هو الرأي الراجح لما في ذلك من تشويق القارئ وتنشيطه على القراءة.

والله تعالى أعلم.

أسئلة وتطبيقات

- س ١ - أذكر القول الصحيح في ترتيب الآيات والسور القرآنية.
- س ٢ - للقرآن الكريم أسماء كثيرة. أذكر ثلاثة منها مع ذكر الدليل من القرآن.
- س ٣ - في تقسيم القرآن وتجزئته آيان. أذكر الرأي الراجح منها.

الوحي

تعريفه - أنواعه - طرقه

س: ما هو الوحي؟

ج: الوحي: هو الإشارة السريعة: بأن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر. وأما الوحي بمعناه اللغوي فإنه يقع فيما يأتي:

١ - الإلهام الفطري للإنسان: وذلك كالوحي لأم موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾^(١).

٢ - الإلهام الغريزي للحشرات: وذلك كالوحي إلى النحل. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾^(٢).

٣ - الإشارة السريعة على سبيل الإيحاء والرمز. وذلك كإيحاء زكريا عليه السلام فيما حكاه القرآن عنه قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٣).

(١) سورة القصص آية ٧.

(٢) سورة النحل آية ٦٨.

(٣) سورة مريم آية ١١.

٤ - وسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾^(١). وكما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَهُمْ﴾^(٢).

٥ - ما يلقيه الله تعالى إلى ملائكته من أمر ليفعلوه كما قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٣).

أما وحي الله لأنبيائه فقد عرفوه شرعاً هكذا: (هو كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه). وهذا تعريف له بمعنى اسم المفعول (الموحي). وقد عرف الوحي الأستاذ الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد فقال: (هو عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة) والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت. ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام (وجدان تستيقنه النفس فتتساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين يأتي). وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور^(٤).

س: لقد عرفنا مما سبق تعريف الوحي. فما هي أنواعه وطرقه؟

ج: للوحي أنواع شتى وكذلك الطرق. فمنه ما يكون مكاملة بين العبد وربّه كما كلم الله موسى تكليماً. ومنه ما يكون إلهاماً يقذفه الله في قلب

(١) سورة الأنعام آية ١١٢

(٢) سورة الأنعام آية ١٢١.

(٣) سورة الأنفال آية ١٢.

(٤) انظر مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص ٢٩ ، ٣٠.

مصطفاه من خلقه على وجه من العلم الضروري لا يستطيع له دفعا، ولا يجد فيه شكاً. ومنه ما يكون مناماً صادقاً يجيء في تحققه ووقوعه كما يجيء فلق الصبح في تبلجه وسطوعه. ومنه ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام وهو ملك كريم ذو قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين. وذلك النوع من الوحي هو أشهر الأنواع وأكثرها، ووحى القرآن كله من هذا القبيل. وهو المصطلح عليه (بالوحي الجلي) قال الله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٦٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٦٧﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٦٨﴾ ﴾ (١).

س: ما هي الصورة التي كان يأتي بها ملك الوحي جبريل عليه السلام؟
 ج: إن ملك الوحي جبريل عليه السلام صوراً شتى يظهر بها. فتارة يظهر للرسول في صورته الحقيقية الملكية. وتارة يظهر في صورة إنسان يراه الحاضرون ويستمعون إليه. وتارة يهبط على الرسول خفية فلا يرى ولكن يظهر أثر هذا بالتغير على صاحب الرسالة، فيثقل ثقلاً شديداً، وقد يتصبب منه الجبين عرقاً في اليوم الشديد البرد. وقد يكون وقع الوحي على الرسول كوقع الجرس إذا صلصل في أذن سامعيه، وذلك أشد أنواع الوحي. وربما يسمعه الحاضرون في مجلس الرسول ولكنهم لا يفقهون شيئاً. . . أما الرسول ﷺ فإنه يسمع ويعي ما يوحى إليه تماماً. ويعلم علماً يقيناً أن هذا هو وحي الله تعالى دون لبس ولا خطأ. فإذا انجلي عنه الوحي وجد ما أوحى إليه حاضراً في ذاكرته، وكأنه كتب في قلبه كتابة. وقد قال الله تعالى في القرآن مخاطباً

(١) سورة الشعراء آية ١٩٣ - ١٩٥.

نبيه ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩).

وقد قال الله تعالى في حق الرسول ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٢٠) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٢١). وقد جاء في الحديث الشريف الذي رواه البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: (إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟) فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول». قالت عائشة: (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً).

والله تعالى أعلم

(١) سورة القيامة من آية ١٦ إلى ١٩.

(٢) سورة النجم آية ٣، ٤.

أسئلة وتطبيقات

- س ١ - عرّف الوحي واذكر بعض أنواعه.
- س ٢ - يظهر ملك الوحي للرسول على صور متعددة. أذكر بعضاً منها.
- س ٣ - أكتب الحديث الشريف الذي يصور فيه الرسول ﷺ حاله عند نزول الوحي عليه.
- س ٤ - أذكر ما قاله اللغويون في أنواع الوحي وطرقه.
- س ٥ - لقد عرّف الأستاذ الشيخ محمد عبده الوحي في رسالة التوحيد. فما هو هذا التعريف؟

المكي والمدني من القرآن الكريم

س: نريد أن نعرف المكي والمدني من القرآن الكريم. فما هو كل منهما؟

ج: إن الذي يقرأ القرآن العظيم ويتمعن فيه يجد بفطرته لما نزل بمكة خصائص ليست متوفرة فيما نزل بالمدينة المنورة من سور وآيات، وإنه يحس ذلك من وقعها ومعانيها وأسبابها. هذا وإن كان الثاني وهو المدني مبنياً على الأول في الأحكام والتشريع والأوامر والنواهي. فأهل مكة كانوا يعبدون الأوثان، ويشركون بالله، وينكرون الوحي على رسول الله ﷺ كما كانوا يكذبون بيوم الدين. ويقولون كما حكى القرآن عنهم: ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا لِمَبْعُوثُونَ﴾^(١) وكانوا يقولون أيضاً: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّمْرُ﴾^(٢). وكانوا ألداء في الخصومة. أهل مجادلة ولجاجة في القول عن فصاحة وبيان، ولذلك نزل الوحي قوارع زاجرة وشهباً منذرة وحججاً قاطعة. يحطم وثنياتهم، ويدعوهم إلى توحيد الإله الواحد الفرد الصمد الخالق الرازق المبدع لكل الأشياء. وقد جاء القرآن المعجز متحدياً لهم على فصاحتهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو

(١) سورة الواقعة آية ٤٧.

(٢) سورة الجاثية آية ٢٤.

بشيء من مثله فلم يقدرُوا مع فصاحتهم وبلاغتهم وسبقهم في هذا الميدان. وحين تكونت الجماعة المؤمنة بالله تعالى وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وامتحنت في عقيدتها بكل أنواع الأذى من المشركين والكافرين والجاحدين، فصبرت وصابرت وهاجرت بدينها مؤثرة ما عند الله تعالى على متاع الحياة الدنيا بأكمله حين تكونت هذه الجماعة نرى الآيات القرآنية التي نزلت في المدينة المنورة طويلة المقاطع تتناول أحكام الإسلام وحدوده وتدعو إلى الجهاد في سبيل الله، والاستشهاد والتضحية بكل غالٍ وثمين في سبيل إعلاء كلمة الحق، ونشر دين الإسلام.

كما أن هذه الآيات المدنية جاءت مفصلة لأصول الشريعة الإسلامية. واضحة قواعد المجتمع المسلم الصحيح. كما أنها أيضاً كانت تفضح المنافقين وأسرارهم. وتجادل أهل الكتاب وتلجم أفواههم. وهذا هو الطابع العام للقرآن المدني: أي الذي نزل في المدينة المنورة. ولقد وقع الخلاف بين أهل العلم فيما نزل من القرآن الكريم في مكة وفيما نزل منه بالمدينة المنورة من سوره وآياته. . . ونريد في هذا المختصر أن نبعد الخلاف المطول الذي لا يتسع المقام لحصره ونذكر فقط أقرب ما قيل من تعداد السور المكية والمدنية إلى الصحة والصواب. ونسأل الله تعالى العون والتوفيق لما فيه الخير والصواب.

أولاً: قيل إن المدني من القرآن الكريم أي الذي نزل بالمدينة المنورة عشرون سورة وهي:

١ - البقرة ٢ - آل عمران ٣ - النساء ٤ - المائدة ٥ - الأنفال ٦ - التوبة

- ٧- النور ٨- الأحزاب ٩- سورة محمد ﷺ ١٠- الفتح
١١- الحجرات ١٢- الحديد ١٣- المجادلة ١٤- الحشر
١٥- المتحنة ١٦- الجمعة ١٧- المنافقون ١٨- الطلاق
١٩- التحريم ٢٠- النصر.

س: هذا ما نزل من سور القرآن الكريم. فما الذي نزل بمكة المكرمة؟ وما هو المختلف فيه بينهما؟

ج: هنا نذكر أسماء السور المختلف فيها بعد ذكر أسماء السور المدنية وما يتبقى بعد ذلك يكون مكياً. فالمختلف فيه بين مكّيته ومدنيته اثنتا عشرة سورة وهي:

- ١- الفاتحة ٢- الرعد ٣- الرحمن ٤- الصف ٥- التغابن
٦- المطففين ٧- القدر ٨- البينة ٩- الزلزلة ١٠- الإخلاص
١١- الفلق ١٢- الناس.

وبهذا يكون المدني عشرون سورة. والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة. والباقي من سور القرآن وعدده اثنتان وثمانون سورة، فهو مكّي أي: نزل بمكة. فيكون مجموع سور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة. هذا على أرجح الأقوال بالنسبة لسور القرآن. أما بالنسبة لآياته فهناك بعض الآيات المكية في سور مدنية. وبعض الآيات المدنية في سور مكية^(١).

وقد سبق أن قلنا أن للعلماء فيها آراء ومذاهب لا يتسع لذكرها

(١) راجع الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ص ٨- ١٨.

وحصرها هذا المختصر. ومن أراد التوسع في معرفتها فعليه بأهمات الكتب.

س: ما هي فوائد العلم بمعرفة المكي والمدني من القرآن الكريم؟

ج: للعلم بالمكي والمدني فوائد عدة نذكر أهمها:

أولاً: الاستعانة بمعرفة المكي والمدني في تفسير القرآن فإن معرفة مواقع النزول تساعد الباحث على فهم الآية وتفسيرها تفسيراً صحيحاً. وإن كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ثانياً: تذوق أساليب القرآن الكريم والاستفادة منها في أسلوب الدعوة إلى الله تعالى فإن لكل مقام مقالاً.

ثالثاً: الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية. فإن تتابع الوحي على رسول الله ﷺ سائر تاريخ الدعوة بأحداثها كلها في العهد المكي والعهد المدني منذ بدأ الوحي حتى آخر آية نزلت من القرآن الكريم.

س: ما هو الفرق بين المكي والمدني من القرآن الكريم؟

ج: للعلماء في الفرق بين المكي والمدني من القرآن الكريم ثلاثة آراء إصطلاحية:

الرأي الأول: اعتبار زمن النزول. فالمكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدينة.

الرأي الثاني: اعتبار مكان النزول: فالمكي ما نزل بمكة وما جاورها

كمنى وعرفات والحديبية، والمدني ما نزل بالمدينة وما جاورها كأحد وقباء وسلع (١).

الرأي الثالث: اعتبار المخاطب. فالمكي: ما كان خطاباً لأهل مكة. والمدني ما كان خطاباً لأهل المدينة. وينبغي على هذا الرأي عند أصحابه: أن ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ مكي. وما فيه من قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فمدني.

س: هل هناك ضوابط ومميزات أخرى للمكي والمدني؟

ج: نعم، لقد وضع بعض العلماء ضوابط ومميزات للمكي والمدني نوردها فيما يلي:

أولاً: ضوابط المكي ومميزاته الموضوعية:

- ١ - كل سورة فيها سجدة فهي مكية.
- ٢ - كل سورة فيها لفظ (كلا) فهي مكية. ولم ترد إلا في النصف الأخير من القرآن الكريم.
- ٣ - كل سورة فيها: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ وليس فيها: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهي مكية إلا أواخر سورة الحج ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَآتَجِدُوا...﴾ الآية.
- ٤ - كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكية سوى سورة البقرة.

- ٥ - كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى سورة البقرة.
- ٦ - كل سورة تفتح بحروف الهجاء مثل ﴿الْم﴾ و﴿الر﴾ و﴿ح﴾

(١) سلع اسم جبل بالمدينة معروف لأهلها.

ونحوها فهي مكية سوى سورة البقرة وآل عمران واختلفوا في سورة الرعد.

هذا من ناحية الضوابط. أما من ناحية المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب المكي فيمكن إجمالها فيما يلي:

١ - الدعوة إلى التوحيد، وعبادة الله وحده، وإثبات الرسالة، وإثبات البعث والجزاء. وذكر القيامة وهولها. والنار وعذابها، والجنة ونعيمها، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية والآيات الكونية.

٢ - وضع الأسس العامة للتشريع والفضائل الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع. وفضح جرائم المشركين في سفك الدماء، وأكل أموال اليتامى ظلماً، ووأد البنات، وما كانوا عليه من سوء العادات.

٣ - ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة زجراً لهم حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم وتسلية لرسول الله ﷺ حتى يصبر على أذاهم ويطمئن إلى نصر الله تعالى له عليهم.

٤ - قصر الفواصل مع قلة الألفاظ وإيجاز العبارة بما يقرع المسامع ويصعق القلوب ويؤكد المعنى بكثرة القسم.
هذه هي ضوابط ومميزات وخصائص المكي بإيجاز.

ثانياً: ضوابط المدني ومميزاته الموضوعية:

١ - كل سورة فيها فريضة أو حدّ فهي مدنية.

٢ - كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية. سوى سورة العنكبوت فإنها مدنية.

٣ - كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب فهي مدنية: هذا من ناحية الضوابط. أما من ناحية المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب فيمكن إجمالها فيما يلي:

١ - بيان العبادات، والمعاملات، والحدود، ونظام الأسرة، والموارث، وفضيلة الجهاد، والصِلات الاجتماعية، والعلاقات الدولية في السلم والحرب، وقواعد الحكم، ومسائل التشريع.

٢ - مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ودعوتهم إلى الإسلام وبيان تحريفهم لكتب الله تعالى وتجنّبهم على الحق. واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم.

٣ - الكشف عن سلوك المنافقين وتحليل نفسيّتهم وإزاحة الستار عن جنایاتهم وبيان خطرهم على الدين.

٤ - طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرر الشريعة ويوضح أهدافها ومراميها.

والله تعالى أعلم.

أسئلة وتطبيقات

- س ١ - أذكر أسماء عشر سور من السور المدنية.
- س ٢ - كم عدد السور المختلف فيها؟ وما هي؟
- س ٣ - للعلم بالمكي والمدني فوائد. أذكر اثنتين منها.
- س ٤ - للعلماء ثلاثة اعتبارات في الفرق بين المكي والمدني فما هي؟
- س ٥ - هناك ضوابط ومميزات للمكي والمدني. أذكر ثلاثة ضوابط لكل منها.

أسباب نزول القرآن الكريم

س: ما هي أسباب نزول القرآن الكريم؟

ج: القرآن الكريم نزل ليهدي الإنسانية ويرشدها إلى الطريق المستقيم، ويقىم لها أسس الحياة الفاضلة الكريمة التي تقوم عليها دعائم الإيمان الكامل بالله ورسالاته. ويقرر أحوال الماضي، ووقائع الحاضر، وأخبار المستقبل. ولتنزل القرآن الكريم أسباب كثيرة متنوعة نختصرها في قسمين عامين:

القسم الأول: هو عبارة عن نزول القرآن الكريم ابتداء من الله تعالى. غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة. إنما كان ذلك لمحض هداية الخلق إلى الحق. وهذا كثير ظاهر لا يحتاج إلى بحث أو بيان أو توضيح.

والقسم الثاني: نزل مرتبطاً بسبب من الأسباب الخاصة كحادثة وقعت في زمن النبي ﷺ. أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى لبيان ما يتصل بتلك الحادثة. أو بجواب عن هذا السؤال. وسنقدم لك أمثلة على هذا:

١ - روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت آية ﴿ وَأَنْذِرْ

عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١﴾ خرج النبي ﷺ حتى صعد الصفا فهتف (أي نادى الناس) بقوله ﷺ: «يا صباحاه» فاجتمعوا إليه فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أنكنتم مصدقي؟» قالوا: (ما جربنا عليك كذباً) قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تبأ لك إنما جمعتنا لهذا؟ ثم قام فنزلت هذه السورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿٢﴾... إلخ (٢).

٢ - عندما ظاهر أوس بن الصامت من زوجته خولة بنت ثعلبة. فذهبت إلى بيت رسول الله ﷺ تشتكي من ذلك. فقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (تبارك الذي وسع سمعه كل شيء) إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها أوس بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: (يا رسول الله، أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني (٣)؛ اللهم إني أشكو إليك). قالت عائشة: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ ﴾ . . . الآيات (٤). وليس معنى هذا أن الإنسان يلتمس لكل آية سبباً. فالقرآن الكريم كما سبق أن عرفنا أن نزوله لم يكن وقفاً على الحوادث والوقائع أو على السؤال والاستفسار. بل كان ينزل القرآن ابتداءً بعقائد الإيمان والتوحيد وواجبات الإسلام

(١) سورة الشعراء آية ٢١٤.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٣) ظاهر مني: أي قال لها (أنت علي كظهر أمي) أي محرمة كتحريمها علي.

(٤) أخرجه ابن ماجه وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

وشرائع الله تعالى في حياة الفرد وحياة الجماعة. وعلى الإنسان أن يعرف أنه لا طريق لمعرفة أسباب النزول إلا النقل الصحيح. روى الواحدي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الحديث إلا ما علمتم فإنه من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن كذب على القرآن من غير علم فليتبوأ مقعده من النار». ومن هنا نقول: لا يحل القول في أسباب النزول لآيات القرآن إلا بعد التحقق من أهل الرواية الصحيحة والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها.

س: هل لمعرفة أسباب النزول فوائد؟

ج: نعم لمعرفة فوائد نذكر أهمها باختصار فيما يلي:

١ - إظهار الحكمة التي دعت إلى تشريع حكم من الأحكام الشرعية مع إدراك الشرع للمصالح العامة في علاج الحوادث رحمة بالأمّة الإسلامية.

٢ - تخصيص حكم ما نزل إن كان بصيغة العموم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ. وهذه مسألة خلافية عند أهل العلم.

٣ - إذا كان لفظ ما نزل عاماً وورد دليل على تخصيصه فمعرفة السبب تقصر التخصيص على صورته. ولا يصح إخراجها.

٤ - إن معرفة سبب النزول خير سبيل لفهم معاني القرآن الكريم وكشف الغموض الذي يكتنف بعض الآيات في تفسيرها ما لم يعرف

سبب نزولها. قال (الواحدي) رحمه الله: «لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها».

وقال ابن تيمية: «معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب»^(١).

٥ - يوضح سبب النزول لمن نزلت فيه الآية حتى لا تحمل على غيره.
والله تعالى أعلم.

(١) انظر كتاب الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ٢٨.

أسئلة وتطبيقات

- س ١ : أذكر القسمين الذين نزل بهما القرآن الكريم؟
- س ٢ : ما هي الطريقة الصحيحة لمعرفة أسباب النزول؟
- س ٣ : أذكر الحديث الشريف الذي يحث على ضرورة الالتزام بمعرفة الطريقة الصحيحة لأسباب النزول.
- س ٤ : لمعرفة أسباب النزول فوائد. أذكر ثلاثة منها.

الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم

س: ما هي الأحرف السبعة التي نزل القرآن الكريم بها؟ ولماذا؟
ج: لقد سبق أن عرفنا أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على قلب النبي محمد ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام فهو محفوظ بالعناية الربانية من أن تصل إليه أي شائبة أو يقع في أي خطأ يحتاج إلى تصويب. ولكن نزول القرآن على سبعة أحرف كان من رحمة الله تعالى بالمسلمين، حيث أنه تعالى يعلم أن منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط. لهذه الأسباب وغيرها مما يقتضيه الحال. نزل القرآن على سبعة أحرف وقد بين ذلك لنا رسول الله ﷺ في أحاديث نورد بعضاً منها:

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أقرأني جبريل على حرف فراجعت فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»^(١). وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان بأضاعة^(٢) بني غفار فأتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك» ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرء أمتك

(١) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) الأضاعة: الغدير. أي غدير ماء بني غفار.

على حرفين فقال «أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك»
ثم جاء الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك على ثلاثة أحرف،
فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك» ثم جاء
الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك على سبعة أحرف فأما
حرف قرأوا فقد أصابوا^(١). وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة
رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم
يقرئها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فانتظرته حتى سلم
ثم لبيته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة؟ فقال: أقرأنيها رسول
الله ﷺ. فقلت له: كذبت فوالله إن رسول الله ﷺ أقرأني هذه السورة
التي سمعتك تقرؤها. فانطلقت أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا
رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم
تقرئها. وأنت أقرأني سورة الفرقان. فقال رسول الله ﷺ: «أرسله
يا عمر» أي أطلقه. «اقرأ يا هشام» فقرأ هذه السورة التي سمعته
يقرؤها. فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أنزلت» ثم قال رسول
الله ﷺ: «اقرأ يا عمر» فقرأت القراءة التي أقرأني رسول الله ﷺ، فقال
رسول الله ﷺ: «هكذا أنزلت» ثم قال رسول الله ﷺ: «إن هذا
القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منها»^(٢).

وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة اختلافاً كثيراً لا يتسع

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، والترمذي، وأحمد، وابن ماجه.

المقام لذكره هنا. ولكنني أقدم لإخواني القراء من بين هذه المذاهب أرجحها. وهو مذهب أبي الفضل الرازي، إذ يقول في اللوائح: المراد بهذه الأحرف الأوجه التي يقع بها التغير والاختلاف، وهذه الأوجه التي يقع بها التغير والاختلاف لا تخرج عن سبعة^(١) وهي:

الأول: اختلاف الأسماء في الأفراد والثنية والجمع نحو قوله تعالى:

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ﴾^(٢). قرئ مسكين

بالإفراد وقرئ مساكين بالجمع.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال من ماضٍ ومضارع وأمر نحو قوله

تعالى: ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾^(٣) قرئ بفتح التاء

والتاء مخففة مع فتح العين. على أنه فعل ماضٍ. وقرئ (يَطَوَّعُ) بياء

مفتوحة وبعدها طاء مشددة مفتوحة مع جزم العين على أنه فعل

مضارع.

الثالث: اختلاف وجوه الإعراب نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْأَلْ عَن

أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾^(٤) قرئ بضم التاء ورفع اللام على أن لا نافية.

وقرئ بفتح التاء وجزم اللام على أن لا ناهية (ولا تسأل).

الرابع: الاختلاف بالحذف والزيادة نحو قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى

(١) انظر الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ٤٦.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٤.

(٣) سورة البقرة آية ١٥٨.

(٤) سورة البقرة آية ١١٩.

مَغْفِرَةً مِّن رَّبِّكُمْ ﴿١﴾ قرىء بإثبات الواو قبل السين وقرىء بحذفها (سَارِعُو).

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير كقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا﴾ ﴿٢﴾ قرىء بتقديم (وقاتلوا) وتأخير (وقتلوا) وقرىء أيضاً بتقديم (وقَاتِلُوا) وتأخير (وقاتلوا).

السادس: الاختلاف بالإبدال: أي جعل حرف مكان حرف. مثل قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبَلُّوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ ﴿٣﴾ قرىء (تبلوا) بقاء مفتوحة وباء ساكنة، وقرىء أيضاً بتاءين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة (تتَلُّوا).

السابع: اختلاف اللهجات كالفتح والإمالة والإظهار والإدغام والتسهيل والتحقيق والتفخيم والترقيق... وهكذا... نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ ﴿٤﴾ تقرأ بالفتح والإمالة في لفظ (أتى) ولفظ (موسى). وفس على هذا في البقية.

س: ما هي الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف؟

ج: تلخص هذه الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف فيما يلي:

١ - تيسير القراءة والحفظ على قوم أميين. لكل قبيلة منهم لسان. ولا

(١) سورة آل عمران آية ١٣٣.

(٢) سورة آل عمران آية ١٩٥.

(٣) سورة يونس آية ٣٠.

(٤) سورة النازعات آية ١٥.

عهد لهم بحفظ الشرائع فضلاً على أن يكون ذلك مما لم يالفوه، وهذه الحكمة نصت عليها الأحاديث في عبارات منها: عن أبيّ قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المراء فقال: «إني بعثت إلى أمة أميين منهم الغلام والخادم والشيخ العاس والعجوز» فقال جبريل: فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف^(١).

٢ - من الحكمة في إنزال القرآن على هذه الأوجه المختلفة: أن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم. ألسنتهم مختلفة ولهجاتهم متباينة. ويتعذر على الواحد منهم أن ينتقل من اللهجة التي درج عليها ومرن لسانه على التخاطب بها. فصارت هذه اللهجة طبيعة من طبائعه وسجية من سجاياه.

٣ - وقد اقتضت رحمة الله تعالى بهذه الأمة المحمدية أن يخفف عليها. وأن ييسر لها حفظ كتابها وتلاوة دستورها.

س: ما هي صلة القراءات السبع بالأحرف السبعة؟

ج: أما عن قراءات الأئمة السبعة وصلتها بالأحرف السبعة فيرى بعض الناس أن قراءة أي قارئ من القراء السبعة هي أحد الأحرف السبعة المذكورة في الحديث النبوي الشريف السابق ذكره. والصواب أن قراءات الأئمة السبعة بل العشرة التي يقرأ بها الناس اليوم هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل القرآن الكريم بها. وورد فيها الحديث

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والطبري بإسناد صحيح. وأحجار المراء: موضع بقباء. والشيخ العاس: الذي كبر سنه وضعف.

الشريف «أنزل القرآن على سبعة أحرف» وغيره من الأحاديث. وهذه القراءات العشر جميعها موافقة لخط مصحف من المصاحف العثمانية التي بعث بها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار بعد أن أجمع الصحابة عليها، وعلى طرح كل ما يخالفها.

والله تعالى أعلم.

أسئلة وتطبيقات

- س ١ : أذكر بعض الأحاديث الدالة على أن القرآن نزل على سبعة أحرف .
- س ٢ : أذكر مذهب أبي الفضل الرازي في الأحرف السبعة .
- س ٣ : أذكر أربعة أوجه من السبعة التي يقع بها التغاير مع ذكر الدليل من القرآن الكريم .
- س ٤ : ما هي الحكمة من إنزال القرآن على سبعة أحرف؟
- س ٥ : هل قراءات الأئمة السبعة هي الأحرف السبعة؟ وضح ذلك .

المحكم والمتشابه

س: ما هو المحكم؟

ج: المحكم في اللغة: مأخوذ من الحكم وأصله المنع وأحكمت بمعنى منعت. فالمحكم يكون بمعنى الممنوع وبمعنى المتقن. والحكم أيضاً الفصل بين الشئين. أما الأحكام فهو الإتيان. وإحكام الشيء إتقانه. وقد وصف الله تعالى القرآن كله بأنه محكم. قال تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿الر كَتَبْنَا أَحْكَامَ آيَاتِنَا﴾^(٢). فالقرآن كله محكم: أي متقن فصيح يميز بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والصدق والكذب، والطيب والخبيث. وهذا هو الأحكام العام. وكذلك وصفه الله تعالى بأن بعضه محكم فقال: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾^(٣).

س: ما هو المتشابه؟

ج: المتشابه لغة: مأخوذ من التشابه وهو التماثل. ومعناه ما اشتبهت دلالاته على كثير من الناس ويقال أيضاً: المتشابه هو أن يشبه أحد الشئين الآخر، وتشابه الكلام تماثله وتناسبه بحيث يصدق بعضه بعضاً. وقد وصف الله تعالى القرآن بأنه متشابه لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ

(١) أول سورة يونس عليه السلام.

(٢) أول سورة هود عليه السلام.

(٣) سورة آل عمران آية ٧.

كِتَابًا مُتَشَبِهًا ﴿١﴾. فالقرآن كله متشابه بمعنى أنه يشبه بعضه بعضاً في الجودة والكمال والفصاحة والبيان والإعجاز. وهذا هو التشابه العام. وليس هناك تنافي بين المعنيين، لأن القرآن الكريم كله منزل من عند الله العليم الحكيم الذي ليس كمثل شيء. وبهذا لا يكون فيه تضاد ولا اختلاف. كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ﴿٢﴾.

والله تعالى أعلم.

(١) سورة الزمر آية ٢٣.

(٢) سورة النساء آية ٨٢.

الإحكام الخاص والتشابه الخاص

س: هل هناك إحكام خاص وتشابه خاص؟

ج: نعم هناك إحكام خاص وتشابه خاص. وقد ذكرهما ربنا جل وعلا في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾^(١). وفي معناهما وقع الخلاف على أقوال نذكر أهمها فيما يلي:

أولاً: المحكم: ما عرف المراد منه. والمتشابه: هو ما استأثر الله تعالى بعلمه.

ثانياً: المحكم هو الذي لا يحتمل إلا معنى واحداً. والمتشابه هو ما احتمل أكثر من وجه ومعنى.

ثالثاً: المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتاج إلى بيان. والمتشابه ما لا يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان يرده إلى غيره. والعلماء يمثلون للمحكم بالناسخ وآيات الحلال والحرام والفرائض والوعد والوعيد، وما أشبه ذلك. ويمثلون للمتشابه بحروف فواتح السور والمنسوخ وصفات الله تعالى في قوله جل شأنه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٢) وقوله

(١) سورة آل عمران آية ٧.

(٢) سورة طه آية ٥.

تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾^(٢)... إلخ.

وفي معاني هذه الصفات وما أشبهها في القرآن الكريم آراء بين العلماء لا يتسع هذا المختصر لعرضها^(٣).

والله تعالى أعلم.

(١) سورة الفتح آية ١٠.

(٢) سورة الأنعام آية ١٨.

(٣) انظر الإتيان للسيوطي ج ٢ ص ٢ - ١٠.

أسئلة وتطبيقات

- س ١ : ما هو المحكم لغة؟ أذكر بعض معانيه .
- س ٢ : ما هو المتشابه لغة؟ وما معنى (متشابهاً)؟
- س ٣ : أذكر بعض الأمثلة للمحكم والمتشابه .

العام والخاص

أولاً: (العام)

س: ما هو العام وما صيغته التي تدل عليه؟

ج: العام: هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له من غير حصر. وله صيغ تدل عليه نذكر منها ما يلي:

أولاً: لفظ (كل) نحو قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(١) ومثلها أيضاً كلمة (جميع).

ثانياً: المَعْرِفُ بِأَلِ التِي لَيْسَتْ لِلْعَهْدِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾^(٢) فإنها تدل هنا على كل إنسان وليس إنساناً معيناً.

ثالثاً: النكرة: في سياق النفي أو النهي. فالنفي كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾^(٣) والنهي نحو قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لِمَا أَفْرَأَ وَلَا تَنْهَرَهُمَا﴾^(٤).

رابعاً: الشرط نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾^(٥)

(١) سورة آل عمران آية ١٨٥.

(٢) سورة العنكبوت آية ١، ٢.

(٣) سورة البقرة آية ١٩٧.

(٤) سورة الإسراء آية ٢٣.

(٥) سورة البقرة آية ١٩٧.

وقول الله تعالى: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ ^(١) لعموم المكان.

خامساً: الموصولات نحو قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِ لَكُمْ مَا ﴿ ^(٢) والموصولات مثل (التي) و (الذي) وفروعها مثل (اللدان) و (وَأَلْتَعِى بِسِنِّ) ومثلها أيضاً أسماء الشرط مثل (مَنْ) من قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ ^(٣) ومثلها: (أَيًّا) من قوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ ^(٤)

سادساً: اسم الجنس المضاف إلى المعرفة مثل: ﴿ يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ ^(٥) وكقوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ ^(٦) أي عن كل أمره.

والله تعالى أعلم.

(١) سورة البقرة آية ١٥٠.

(٢) سورة الأحقاف آية ١٧.

(٣) سورة البقرة آية ١٥٨.

(٤) سورة الإسراء آية ١١٠.

(٥) سورة النساء آية ١١.

(٦) سورة النور آية ٦٣.

أقسام العام

س: هل للعام أقسام؟ وما هي؟

ج: نعم للعام أقسام ثلاثة وهي:

١ - العام الباقي على عمومته نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾^(٣)... إلخ. فلا تخصيص في هذا وأمثاله.

٢ - العام المراد به الخصوص، نحو قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾^(٤) اللفظ هنا عام بكلمة الملائكة ولكن المراد به هو جبريل عليه السلام ومثله كذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾^(٥) والمراد بالناس هنا إبراهيم عليه السلام أو سائر العرب من غير قریش.

٣ - العام المخصوص: وله أمثلة كثيرة نذكر منها على سبيل

(١) سورة النساء آية ١٧٦.

(٢) سورة الكهف آية ٤٩.

(٣) سورة النساء آية ٢٣.

(٤) سورة آل عمران آية ٣٩.

(٥) سورة البقرة آية ١٩٩.

المثال: - قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١). فهذا عام في قوله تعالى: ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ ثم خصص بقوله تعالى: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ﴾^(٢).

والله تعالى أعلم.

(١) سورة آل عمران آية ٩٧.

(٢) انظر مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان.

أسئلة وتطبيقات

س ١: عرّف العام.

س ٢: للعام صيغ تدل عليه. اذكر ثلاثة منها.

س ٣: ما هي أقسام العام الثلاثة؟

ثانياً: (الخاص)

س: ما هو الخاص؟

ج: الخاص: هو المقابل للعام. وهو الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر. أما التخصيص فهو: إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام. والمخصص: إما متصل أو منفصل، فالمخصص المتصل: هو الذي لم يفصل فيه بين العام والمخصص له بفاصل. والمنفصل هو بخلاف المتصل تماماً.

فالمخصص المتصل له خمسة أنواع وهي: ١ - الإِستثناء، ٢ - الغاية، ٣ - الصفة، ٤ - بدل البعض من الكل، ٥ - الشرط. وإليك الأمثلة لكل نوع منها:

١ - مثال الاستثناء ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ حِزْبٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْأَنْجِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ﴾ (١)

فقد استثنى هنا الذين تابوا طواعية.

(١) سورة المائدة آية ٣٣، ٣٤.

٢ - مثال الغاية، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَخْلُقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ^١﴾ (١).

٣ - مثال الصفة، كقوله تعالى: ﴿وَرَبَّيْكُمْ^٢ الَّتِي فِي جُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ الَّتِي دَخَلْتُمْ^٣ بَيْنَ﴾ (٢) الآية... فقوله تعالى: ﴿الَّتِي دَخَلْتُمْ بَيْنَ﴾ صفة لنسائكم. والمعنى أن الربيبه من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل محللة له إذا لم يدخل بأمرها.

٤ - مثال بدل البعض من الكل. كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ^٤ الْبَيْتِ مِنْ أَسْطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (٣) فقوله تعالى: ﴿مِنْ أَسْطَاعَ﴾ بدل من الناس فيكون وجوب الحج خاصاً بالمستطيع.

٥ - مثال الشرط: نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ^٥ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ (٤) أي إن علمتم فيهم القدرة على الأداء، أو الأمانة والكسب.

وأما المخصص المنفصل: فهو ما كان في موضع آخر من آية أو حديث أو إجماع أو قياس. وإليك الأمثلة لكل منها:

١ - ما خصص بالقرآن: كقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ^٦ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (٥) عام. خص بقوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ

(١) سورة البقرة آية ١٩٦.

(٢) سورة النساء آية ٢٣.

(٣) سورة آل عمران آية ٩٧.

(٤) سورة النور آية ٣٣.

(٥) سورة البقرة آية ٢٢٨.

﴿ أَجْلِهِنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾^(١) وبقوله تعالى: ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا ﴾^(٢).

٢ - ما خصص بالحديث: فكقوله تعالى: ﴿ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ

الرِّبَا ﴾ خص منه البيوع الفاسدة وهي كثيرة؛ كما روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (نهى رسول الله ﷺ عن عسب الفحل) فجملة ﴿ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾ عامة وقد خصصت البيوع الفاسدة بالمنع بالسنة في أحاديث كثيرة لا يتسع المقام لذكرها. وجملة ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ عامة خصص منها العرايا الثابتة بالسنة فإنها مباحة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ رخص في بيع العرايا بخرصها فيما دون خمسة أوسق، أو في خمسة أوسق)^(٣).

٣ - ما خصص بالإجماع: آية المواريث في قوله تعالى: ﴿ يُوَصِّيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴾^(٤) الآية. فهذه عامة. خص منها الرقيق فلا يرث بالإجماع.

٤ - ما خصص بالقياس: آية الزنا في قوله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾^(٥) الآية. فهذه عامة خص منها العبد بالقياس على الأمة المنصوص عليها في قوله تعالى: ﴿ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾^(٦).

والله تعالى أعلم.

(٢) سورة الأحزاب آية ٤٩.

(٤) سورة النساء آية ١١.

(٦) سورة النساء آية ٢٥.

(١) سورة الطلاق آية ٤.

(٣) متفق عليه.

(٥) سورة النور آية ٢.

راجع الإبتقان للسيوطي جـ ٢ ص ١٧، ١٨ إن شئت.

أسئلة وتطبيقات

س ١: عرّف الخاص.

س ٢: للخاص المتصل خمسة أنواع. فما هي؟ مع الدليل على كل منها.

س ٣: المخصص المنفصل ما كان بآية أو حديث أو إجماع أو قياس. اذكر مثلاً لكل نوع.

الناسخ والمنسوخ

س: ما هو النسخ؟

ج: النسخ في اللغة بمعنى الإزالة. ومنه يقال نسخت الشمس الظل. أي أزالته، وقد يراد بالنسخ نقل الشيء من موضع إلى موضع آخر. ومنه نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه. ويقول الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْنِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(١). والمراد به نقل الأعمال إلى الصحف. والنسخ في الاصطلاح: رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي. أما كلمة (الناسخ) فتطلق على الله تعالى كقوله تعالى ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ ﴾^(٢) وتطلق أيضاً على الآية فيقال: هذه الآية ناسخة لآية كذا. وتطلق على الحكم فيقال حكم كذا ناسخ لحكم كذا. وأما المنسوخ فهو الحكم المرتفع. فأية المواريث مثلاً وما فيها من حكم ناسخ لحكم الوصية للوالدين والأقربين كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

س: هل للنسخ شروط؟

ج: نعم للنسخ شروط ثلاثة وهي: -

(١) سورة الجاثية آية ٢٩

(٢) سورة البقرة آية ١٠٦

١ - أن يكون الحكم المنسوخ شرعياً.

٢ - أن يكون الدليل على ارتفاع الحكم خطاباً شرعياً مترخياً^(١) عن الخطاب المنسوخ حكمه.

٣ - ألا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيد بوقت معين. وإلا فالحكم ينتهي بانتهاء وقته. ولا يعد هذا نسخاً. وقد قال بعض العلماء في قوله تعالى في سورة البقرة ﴿فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ﴾^(٢) قالوا إنه حكم غير منسوخ لأنه مؤجل بأجل. والمؤجل لأجل لا نسخ فيه^(٣).

ومما هو معروف عند أهل العلم أن النسخ لا يكون إلا في الأوامر والنواهي. سواء كانت صريحة في الطلب أو كانت بلفظ الخبر الذي بمعنى الأمر أو النهي على أن يكون ذلك غير متعلق بالعقائد التي ترجع إلى ذات الله تبارك وتعالى وصفاته وكتبه ورسله واليوم الآخر أو الآداب الخلقية أو أصول العبادات والمعاملات. لأن الشرائع كلها لا تخلوا من هذه الأصول. وهي متفقة فيها. قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(٤).

(١) مترخياً: أي جاء بعد الحكم المنسوخ في النزول.

(٢) سورة البقرة آية ١٠٩.

(٣) ممن حكى هذا القول مكي بن أبي طالب. أصله من القيروان وله مؤلفات كثيرة في علوم القرآن مثل كتاب الناسخ والمنسوخ. سكن قرطبة ثم رحل إلى مصر وتوفي عام ٤٣٧ هـ.

(٤) سورة الشورى آية ١٣

س: هل لمعرفة النسخ أهمية؟

ج: نعم. لمعرفة الناسخ والمنسوخ أهمية كبيرة عند أهل العلم من الفقهاء والأصوليين والمفسرين حتى لا تختلط الأحكام. ولهذا وردت أحاديث كثيرة في الحث على معرفة الناسخ والمنسوخ. فقد روي أن علياً كرم الله وجهه ورضي عنه وأرضاه مرّ على قاضٍ فقال له: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال لا. فقال: (هلكت وأهلكت)^(١). وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قول الله تعالى ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾^(٢) قال ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحرامه وحلاله^(٣).

س: ما الطرق التي يعرف بها الناسخ والمنسوخ؟

ج: لمعرفة الناسخ والمنسوخ طرق نذكرها لك فيما يأتي: -

أولاً: النقل الصريح عن رسول الله ﷺ أو عن صحابي كحديث: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها»^(٤).

ثانياً: إجماع الأمة الإسلامية على أن هذا ناسخ وهذا منسوخ.

ثالثاً: معرفة المتقدم من المتأخر في النزول. ولا يعتمد في معرفة النسخ على الاجتهاد أو قول المفسرين أو التعارض بين الأدلة ظاهراً أو تأخر إسلام أحد الراويين. والله أعلم.

(١) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٩

(٣) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٤) رواه الحاكم.

أقسام النسخ

س: هل للنسخ أقسام؟

ج: نعم للنسخ أربعة أقسام وهي: -

القسم الأول: نسخ القرآن بالقرآن. وهذا القسم متفق على جوازه. فآية الاعتداد بالحوال وهي قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِتْرَاجٍ ﴾^(١) نسخت بآية الاعتداد بأربعة أشهر وعشراً.

وهي قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾^(٢)

القسم الثاني: نسخ القرآن بالسنة. ولهذا القسم نوعان: -

أ- نسخ القرآن بالسنة الأحادية. والجمهور على عدم جواز هذا النوع لأن القرآن متواتر يفيد اليقين وحديث الأحاد مظنون، ولا يصح رفع المعلوم التواتر بالمظنون من الأحاد.

ب- نسخ القرآن بالسنة المتواترة. وهذا النوع جائز عند الأئمة. مالك وأبي حنيفة وأحمد في رواية عنه. حيث قالوا (إن الكل وحي) استناداً إلى قوله تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾^(٣)

(١) سورة البقرة آية ٢٤٠ (٢) سورة البقرة آية ٢٣٤ (٣) سورة النجم آية ٣، ٤.

وقوله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾^(١) والنسخ نوع من البيان. ولقد منعه الإمام الشافعي وأهل الظاهر وأحمد في روايته الأخرى لقوله تعالى ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾^(٢) والسنة ليست خيراً من القرآن، ولا مثله.

القسم الثالث: نسخ السنة بالقرآن: ويميزه الجمهور. فإن التوجه إلى بيت المقدس كان ثابتاً بالسنة وليس في القرآن ما يدل عليه، وقد نسخ بالقرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾^(٣). ولهذا القسم أمثلة كثيرة لا يتسع هذا المختصر لذكرها.

القسم الرابع: نسخ السنة بالسنة: وتحت هذا القسم أربعة أنواع: -

١ - نسخ سنة متواترة بسنة متواترة.

٢ - نسخ آحاد بآحاد.

٣ - نسخ آحاد بمتواتر.

٤ - نسخ متواتر بآحاد.

فالثلاثة الأولى جائزة، أما النوع الرابع ففيه الخلاف الوارد في نسخ القرآن بالسنة الأحادية. والجمهور على عدم جوازه^(٤).

والله تعالى أعلم

(١) سورة النحل آية ٤٤.

(٢) سورة البقرة آية ١٠٦.

(٣) سورة البقرة آية ٤٤.

(٤) راجع إن شئت التوسع كتاب الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ص ٢١.

أنواع النسخ في القرآن الكريم

س: ما هي أنواع النسخ في القرآن الكريم؟

ج: أنواع النسخ في القرآن الكريم ثلاثة وهي: -

النوع الأول منها: نسخ التلاوة والحكم معاً، ومثاله ما روى مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان فيما أنزل عشر رضعات مشبعات يحرم من. فنسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهن مما يقرأ من القرآن) وقولها (وهن مما يقرأ من القرآن) ظاهره بقاء التلاوة وليس كذلك لأنه غير موجود في المصحف العثماني وأجيب بأن المراد قارب الوفاة.

النوع الثاني: نسخ الحكم وبقاء التلاوة، ومثال ذلك نسخ حكم آية العدة بالحوال مع بقاء تلاوتها وهذا النوع هو الذي ألفت فيه الكتب وذكر المؤلفون فيه الآيات المتعددة. والتحقيق أنها قليلة كما بين ذلك القاضي أبو بكر العربي^(١).

النوع الثالث: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، وقد ذكروا له أمثلة كثيرة منها مثلاً آية الرجم ﴿الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً﴾

(١) انظر الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ص ٢٢.

من الله والله عزيز حكيم ﴿ وبعض أهل العلم ينكر هذا النوع من النسخ لأن الأخبار فيه أخبار آحاد. ولا يجوز القطع بإنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد^(١).

(١) انظر الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ص ٢٤.

حكمة النسخ

س: ما هي حكمة النسخ؟

ج: حكمة النسخ تتلخص فيما يأتي:

١ - مراعاة مصالح العباد.

٢ - تطور التشريع إلى مرتبة الكمال حسب تطور الدعوة وتطور أحوال الناس.

٣ - ابتلاء المكلف واختباره بالامثال وعدمه.

٤ - إرادة الخير للأمة المحمدية والتمسير عليها. لأن النسخ إن كان إلى ما هو أشق، ففيه زيادة الثواب. وإن كان إلى ما هو أخف ففيه سهولة وتميسير.

وقد ذكر السيوطي في الاتقان في علوم القرآن أن النسخ وقع في إحدى وعشرين آية على خلاف في بعضها^(١). ونذكر للقارئ الكريم هنا بعضاً من هذه الآيات على سبيل المثال:

١ - قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَجْهُ اللَّهِ﴾^(٢)

(١) انظر الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ٢٣.

(٢) سورة البقرة آية ١١٥.

منسوخة بقوله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (١) الآية. وقد قيل إن الأولى غير منسوخة لأنها في صلاة التطوع في السفر على الراحلة وكذا في حال الخوف والاضطراب. وحكمها باقٍ في الصحيحين. والثانية في الصلوات الخمس. والصحيح أنها ناسخة لما ثبت في السنة من استقبال بيت المقدس.

٢ - وفي قول الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ (٢) قيل إنها منسوخة بآية الموارث. وقيل بحديث «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه». فلا وصية لو ارث.

٣ - في قوله تعالى: ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ (٣) نسخت بقوله تعالى: ﴿ أَلَعَلَّ خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤).

وقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ (٥) نسخت بقوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ

(١) سورة البقرة آية ١٤٤.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٠.

(٣) سورة الأنفال آية ٦٥.

(٤) سورة الأنفال آية ٦٦.

(٥) سورة التوبة آية ٤١.

سَبِيلٍ ﴿١﴾ وبقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ ﴿٢﴾ الآية .
هذه بعض الأمثلة للنسخ، وإن شئت التوسع في معرفة الباقي منها
فارجع إلى كتاب الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ٢٣ .

والله الموفق .

(١) سورة التوبة آية ٩١ .

(٢) سورة التوبة آية ١٢٢ .

أسئلة وتطبيقات

- س ١: عرّف النسخ في اللغة والاصطلاح؟
- س ٢: للنسخ شروط ثلاثة. اذكرها.
- س ٣: اذكر طرق معرفة الناسخ والمنسوخ.
- س ٤: للنسخ أربعة أقسام. فما هي؟
- س ٥: ما هي الحكمة من النسخ؟
- س ٦: اذكر مثالين من أمثلة النسخ في القرآن الكريم.

المطلق والمقيد

(تعريف المطلق)

س: ما هو المطلق من القرآن الكريم؟

ج: المطلق ما دل على الحقيقة بلا قيد: فهو يتناول واحداً ما بدون تعيين. وأكثر وقوعه. النكرة في الإثبات. ففي لفظ (رقبة) من قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾^(١) أي فعلية تحرير رقبة - أي رقبة. فإنه يتناول هنا عتق إنسان مملوك بدون قيد الإيمان أو الكفر، وهذا يعتبر إطلاقاً. لأنه شائع في جنس العبيد، وهو أيضاً نكرة في الإثبات، لأن المعنى فعلية (تحرير رقبة) وكقوله ﷺ: «لا نكاح إلا بولي»^(٢). وهذا مطلق أيضاً في جنس الأولياء سواء كان رشيداً أو غير رشيد.

(تعريف المقيد)

س: ما هو المقيد من القرآن الكريم؟

ج: المقيد: هو ما دل على الحقيقة بقيد، مثل الرقبة المقيدة بالإيمان في قوله تعالى ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾^(٣) قيد هنا بالمؤمنة، وفي قوله تعالى

(١) سورة المجادلة آية رقم ٣.

(٢) رواه أحمد والأربعة.

(٣) سورة النساء آية رقم ٩٢.

﴿ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾^(١) قيد هنا بالتتابع . . وللمطلق والمقيد صور عقلية نورد الأقسام الواقعية منها فيما يلي : -

أولاً: أن يتحد السبب والحكم معاً. كالصيام في كفارة اليمين. جاء مطلقاً في القراءة المتواترة في المصحف في قوله تعالى ﴿ فَن لَّ رَجِدَ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةٌ لِّمَن كَرَّ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾^(٢) وجاء مقيداً في قراءة ابن مسعود (فصيام ثلاثة أيام متتابعات). فمثل هذا يحمل المطلق فيه على المقيد، ولهذا قال قوم بالتتابع. وبهذا أخذ الأئمة (أبو حنيفة والثوري وأحد رأيين عند الشافعي) وقد خالفهم في ذلك من يرى أن القراءة وإن كانت مشهورة إلا أنها ليست حجة، وبهذا لا يكون هنا مقيد يحمل عليه المطلق^(٣).

ثانياً: أن يتحد السبب ويختلف الحكم، مثال ذلك: الأيدي في الوضوء والتميم. في قوله تعالى ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾^(٤) قيد غسل الأيدي هنا في الوضوء بأنه إلى المرافق. وأطلق المسح في التيمم في قوله تعالى ﴿ فَتَيْمَّمُوا صَعِيدًا طَبِيبًا فَاْمَسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾^(٥) فقد قيل: هنا لا يحمل المطلق على المقيد لاختلاف الحكم، وعليه أكثر أهل

(١) سورة المجادلة آية رقم ٤ .

(٢) سورة المائدة آية رقم ٨٩ .

(٣) انظر مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص ٢١٠ .

(٤) سورة المائدة آية رقم ٦ .

(٥) سورة المائدة آية رقم ٦ .

العلم. وخالف أكثر الشافعية وقالوا: يحمل المطلق على المقيد هنا لاتحاد السبب.

ثالثاً: أن يختلف السبب ويتحد الحكم: ولهذا صورتان:

الصورة الأولى: أن يكون التقييد واحداً، كعتق الرقبة في الكفارة، وقد ورد اشتراط الإيمان في الرقبة بتقييدها (بالرقبة المؤمنة) في كفارة القتل الخطأ - كما قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾^(١) فهذا قيدها بالمؤمنة - أما في كفارة الظهر فقد أطلق الرقبة ولم يقيدها. حيث قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ﴾^(٢) هنا أطلقها. وكذلك في كفارة اليمين حيث قال تعالى ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُهُمْ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْفَتِهِمْ أَوْ تَحْرِيرِ رَقَبَةٍ ﴾^(٣) وهنا أيضاً بدون تقييد في هذه الآية - وقد قال جماعة. منهم المالكية وكثير من الشافعية: يحمل المطلق على المقيد. فلا تجزئ الرقبة الكافرة في كفارة الظهر واليمين - وقال آخرون وهو مذهب الأحناف: لا يحمل المطلق على المقيد فيجوز عتق الرقبة الكافرة في كفارة الظهر واليمين - هذه هي الصورة الأولى.

أما الصورة الثانية: فهي أن يكون التقييد مختلفاً - مثل الكفارة

(١) سورة النساء آية رقم ٩٢.

(٢) سورة المجادلة آية رقم ٣.

(٣) سورة المائدة آية رقم ٨٩.

بالصيام. حيث قيد الصوم بالتتابع في كفارة القتل في قوله تعالى ﴿فَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ (١) وفي كفارة الظهار قال تعالى ﴿فَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا﴾ (٢) هذا وقد جاء التقييد بالتفريق في صوم المتمتع بالحج - حيث قال الله تعالى ﴿فَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ (٣) ثم جاء الصوم مطلقاً دون تقييد بالتتابع أو التفريق في كفارة اليمين حيث قال تعالى ﴿فَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ (٤) وفي قضاء صيام شهر رمضان قال تعالى ﴿فَن كَانَ مِنكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (٥) فالمطلق في هذا لا يحمل على المقيد لأن القيد مختلف.

رابعاً: أن يختلف السبب ويختلف الحكم: كاليد في الوضوء والسرقة. فقيدت في الوضوء إلى المرافق وأطلقت في السرقة بلا قيد حيث قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ (٦) فلا يحمل هنا المطلق على المقيد لاختلاف السبب والحكم معاً. والله تعالى أعلم.

(١) سورة النساء آية رقم ٩٢.

(٢) سورة المجادلة آية رقم ٤.

(٣) سورة البقرة آية رقم ١٩٦.

(٤) سورة المائدة آية رقم ٨٩.

(٥) سورة البقرة آية رقم ١٨٤.

(٦) سورة المائدة آية رقم ٣٨.

أسئلة وتطبيقات

- س - عرف كلاً من المطلق والمقيد .
- س - اذكر أقسام المطلق والمقيد مع ذكر حكم كل منهما - واذكر الدليل من القرآن الكريم .

المنطوق والمفهوم

(تعريف المنطوق)

س: ما هو المنطوق؟

ج: المنطوق هو ما دل عليه اللفظ في محل النطق. أي أن دلالاته تكون من مادة الحروف التي ينطق بها. والمنطوق يشمل خمسة أنواع وهي: ١ - النص ٢ - الظاهر ٣ - المؤول ٤ - الاقتضاء ٥ - الإشارة. وإليك بيانها مفصلة: -

أولاً: النص وهو الذي يفيد بنفسه معنى صريحاً لا يحتمل غيره - كقوله تعالى: ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾^(١) فإن وصف عشرة (بكاملة) قطع احتمال العشرة لما دونها - مجازاً - وهذا هو الغرض من النص.

ثانياً: الظاهر وهو ما احتمل معنيين - ولكن أحدهما يسبق إلى الفهم عند الإطلاق. نحو قوله تعالى: ﴿ مَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾^(٢) فإن لفظ (الباغى) يطلق على الجاهل - كما يطلق على الظالم، لكن إطلاقه على الظالم أغلب وأظهر

(١) سورة البقرة آية ١٩٦.

(٢) سورة البقرة آية ١٧٣.

من إطلاقه على الجاهل فهذا إطلاق راجح - أما إطلاقه على الجاهل فمرجوح .

ثالثاً: المؤول وهو ما حمل لفظه على المرجوح لدليل يمنع من إرادة المعنى الراجح . فهو عكس الظاهر تماماً، ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ (١) فإنه محمول هنا على الخضوع والتواضع وحسن المعاملة للوالدين - لاستحالة أن يكون للإنسان أجنحة ليؤمر بخفضها .

رابعاً: الاقتضاء وذلك في قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ (٢) فإنه يتضمن إضرار الوطء ويقتضيه . أي حرم عليكم وطء أمهاتكم . لأن التحريم هنا لا يضاف إلى الأعيان . فوجب لذلك إضرار فعل يتعلق به التحريم وهو الوطء للأمهات . وهذا النوع يقرب من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه . وسمي هذا اقتضاء لاقتضاء الكلام شيئاً زائداً على اللفظ .

خامساً: الإشارة ويفهم من قوله تعالى: ﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَقُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْعَنَ بَشِرُوهِنَّ وَأَبْتِغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ

(١) سورة الاسراء آية ٢٤ .

(٢) سورة النساء آية ٢٣ .

الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴿١١﴾ فَإِنَّ هَذَا يدل على صحة الصوم ممن أصبح
جنباً - لأنه يبيح الوطء إلى طلوع الفجر في شهر رمضان - مع عدم
اتساع الوقت للغسل - وهذا يستلزم الإصباح على جنباً، مع صحة
الصوم.

(١) سورة البقرة آية رقم ١٨٧ .

(تعريف المفهوم وأقسامه)

س: ما هو المفهوم؟ وما أقسامه؟

ج: المفهوم: هو ما دل عليه اللفظ ولكن ليس في محل النطق - وينقسم إلى قسمين: -

١ - مفهوم موافقة:

٢ - مفهوم مخالفة: وإليك بيانها بالتفصيل:

أولاً: مفهوم الموافقة:

وهو ما يوافق حكمه المنطوق: وهو نوعان:

النوع الأول: فحو الخطاب - وهو ما كان المفهوم فيه أولى بالحكم من المنطوق. مثل فهمنا لتحريم الشتم والضرب للوالدين من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ﴾^(١) لأن منطوق الآية الكريمة تحريم التأفيف، فيكون تحريم الشتم والضرب أولى وأحق لأنها أشد من التأفيف.

النوع الثاني: لحن الخطاب - وهو ما ثبت الحكم فيه للمفهوم كثبوته

(١) سورة الاسراء آية رقم ٢٣.

للمنطوق على السواء. يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ
 أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(١)
 يدل على تحريم إحراق أموال اليتامى أو إتلافها بأي نوع من أنواع
 الإيتلاف أو إضاعتها. هذا كله مساوٍ للأكل بل هو أشد - وهذان
 النوعان، سُميا بمفهوم الموافقة لأن المسكوت عنه يوافق المنطوق به في
 الحكم وإن كان زائداً عليه في النوع الأول - ومساوٍ له في النوع
 الثاني.

ثانياً: مفهوم المخالفة: -

وهو ما يخالف حكمه المنطوق. وله أنواع أيضاً نذكرها لك بإيجاز: -
 ١ - مفهوم الصفة: وهي الصفة المعنوية. فمثلاً قوله تعالى: ﴿إِن
 جَاءَكَ كُفْرٌ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا﴾^(٢) فيفهم من هذا النص أن غير الفاسق لا
 يجب التثبت في خبره، ومن هنا يجب قبول خبر الواحد العدل - وقس
 على هذا في الحال والعدد، ومثاله في الحال قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا
 قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ﴾^(٣) فهذا النص يدل على انتفاء الحكم في المخطيء في
 قتل الصيد وهو محرم. ومثال العدد كقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ
 مَّعْلُومَةٌ﴾^(٤) فمفهومه أن الإحرام بالحج في غير أشهره لا يصح.

(١) سورة النساء آية رقم ١٠.

(٢) سورة الحجرات آية رقم ٦.

(٣) سورة المائدة آية رقم ٩٥.

(٤) سورة البقرة آية رقم ١٩٧.

٢ - مفهوم الشرط: كقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِلٌ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾^(١) فيفهم من هذا أن غير الحوامل لا يجب الإنفاق عليهن.

٣ - مفهوم غاية: مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا مَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾^(٢) فمفهوم هذا أنها - أي المرأة المطلقة ثلاثاً - تحل لمطلقها إذا نكحت غيره بشروط النكاح الصحيح - ثم طلقت منه.

٤ - مفهوم الحصر: كقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^(٣) فمفهومه أن غير الله سبحانه وتعالى لا يُعبد ولا يُستعان به. ولذلك كانت هذه الآية الكريمة دالة على إفراد الله تعالى بالعبادة والاستعانة. والحصر هنا مستفاد من تقديم المعمول على العامل^(٤).
والله تعالى أعلم.

(١) سورة الطلاق آية رقم ٦.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٣٠.

(٣) سورة الفاتحة آية رقم ٥.

(٤) الاتقان للسيوطي مع تصرف.

أسئلة وتطبيقات

س ١: عرّف المنطوق واذكر أنواعه.

س ٢: عرّف المفهوم. واذكر كلاً من الموافقة والمخالفة مع ذكر الدليل لكل منهما.

إعجاز القرآن الكريم

س: ما المراد من إعجاز القرآن الكريم؟

ج: كان الناس قبل الإسلام لا يؤمنون إلا بالأموال الظاهرة المرئية أو المحسوسة أو الملموسة. ولهذا كانت معجزة كل نبي تتفق وطبيعة قومه وما برعوا فيه من العلوم. فمثلاً: كانت معجزة اليد والعصى لموسى عليه السلام. وكانت معجزة عيسى عليه السلام إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله. كما أن الرسائل السابقة كانت لأهم خاصة. ولما اكتمل العقل البشري أذن الله تعالى بفجر الرسالة المحمدية الخالدة إلى الناس كافة، أذن لها أن تظهر وأن تنير العقول والقلوب وتبعث إلى التفكير في هذا الملك والملكوت الواسع الكبير، وخالق هذا الكون الباهر العظيم، وكما هي العادة من قبل أن تكون لكل رسالة معجزة تؤيدها وتعضد المرسل بها. فقد كانت معجزة الإسلام هي معجزة العقل البشري في أرقى تطوراته ونضجه - كانت معجزة سيدنا محمد ﷺ في عصر مشرف على العلم. معجزة عقلية تحاجّ العقل البشري وتتحداه إلى الأبد. ألا وهي معجزة (القرآن الكريم) بعلومه ومعارفه وأخباره الماضية والحاضرة والمستقبلية - وجمعه لكل أنواع العلوم والمعارف التي لا يستطيع الإنسان حصرها والمستمرة على مدى

الزمان والتي تتجلى للإنسان كلما ترقى في العلوم والمعارف، شاهدة على عجزه مهما وصل.

تعريف الإعجاز

س: ما هو الإعجاز؟

ج: الإعجاز هو إثبات العجز. والعجز هو: القصور عن فعل الشيء - وضده القدرة. فإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز - والمراد بالإعجاز هنا: إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة، بإظهار عجز العرب عندئذ عن معارضته ﷺ في معجزته الخالدة (وهي القرآن الكريم) وكذلك عجز الأجيال القادمة من بعدهم إلى ما شاء الله تعالى.

تعريف المعجزة

س: هذا في الإعجاز. فما هي المعجزة؟

ج: المعجزة: هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة - وكما عرفنا أن معجزة النبي ﷺ الكبرى كانت (القرآن الكريم) الذي تحدى به النبي ﷺ العرب جميعاً مع فصاحتهم وبلاغتهم ونبوغهم، فإنهم قد عجزوا عن معارضة القرآن الكريم مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة. وقد ثبت أن النبي ﷺ تحدى العرب بالقرآن حينما كذبوه وعارضوه وقالوا إنه من صنع محمد، فطلب منهم وهم عرب مثله - أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بشيء من مثله فلم

يقدرُوا ولم يستطيعوا. وقد سجل القرآن الكريم هذا التحدي على مراحل ثلاث: -

١ - تحداهم بالقرآن كله على أن يأتوا بمثله وهم أهل الفصاحة والبلاغة - فقال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْحِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذِهِ الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (١)

٢ - تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله. حيث قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرْتَهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴿ الآية (٢) .

٣ - تنزل معهم في التحدي إلى أن يأتوا بسورة واحدة من القرآن - فما استطاعوا حيث قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرْتَهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ (٣) ومع هذا لم يستطيعوا. ولقد كان سماع القرآن حجة ملزمة لهم حيث قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾ (٤).

وكان ما يحتويه القرآن الكريم من معجزات تفوق كل معجزة كونية سابقة ويغني عنها جميعها - وعجز العرب عن معارضة القرآن مع توفر الإمكانات عندهم عجز للغة العربية في ريعان شبابها وعنفوان قوتها

(١) سورة الاسراء آية رقم ٨٨ .

(٢) سورة هود عليه السلام آية رقم ١٣ ، ١٤ .

(٣) سورة يونس عليه السلام آية رقم ٣٨ .

(٤) سورة التوبة آية رقم ٦ .

أن يبارى بها القرآن الكريم المنزل من عند الله رب العالمين، ولقد اختلفت الآراء في إعجاز القرآن الكريم. فمنهم من قال (إن إعجاز القرآن كان بالصرفة) أي أن الله تعالى صرف العرب عن معارضته مع قدرتهم عليها، وكان هذا رأي أبي إسحاق إبراهيم النظام، والمرضى من الشيعة وهو قول يدل على عجز ذويه. فلا يقال فيمن سلب القدرة على شيء. إن الشيء أعجزه ما دام في مقدوره أن يأتي به في أي وقت شاء. وإنما المعجز حقاً هو قدرة الله تعالى المنزل لهذا الكتاب بلغتهم وبحروف اللغة العربية التي يجيدونها ويتبارون في صناعتها ويتسابقون في بلاغتها دون أن يصرفهم عن الإتيان بمثله لو استطاعوا. ومن العلماء أيضاً من ذهب إلى أن القرآن معجز ببلاغته التي وصلت إلى مرتبة لم يعهد لها مثل من قبل. وهذا رأي أهل اللغة العربية الذين يولعون بصور المعاني الحية في التركيب المحكم والبيان البديع... . وذهب بعض العلماء يقول: إن وجه إعجاز القرآن في أنه يتضمن البديع المخالف لما عرف في كلام العرب من فواصل ومقاطع وسجع ونظم مرتب... . وآخرون يقولون بل إعجازه في الإخبار عن المغيبات المستقبلية التي لا تعرف إلا عن طريق الوحي. أو الإخبار عن أمور تقدمت منذ بدء الخليقة بما لا يمكن صدوره من أمي لم يعرف القراءة والكتابة. وجماعة منهم يقولون (إن القرآن معجز لما تضمنه من العلوم والمعارف المختلفة والحكم البليغة) - وهناك وجوه كثيرة للإعجاز القرآني يعجز عن سردها هذا المختصر.

والحقيقة أن القرآن الكريم معجز بكل ما تحمله هذه الكلمة من

معان - فهو معجز في أسلوبه وألفاظه، ومعجز في بيانه ونظمه، ومعجز بعلومه ومعارفه، ومعجز بما يبلغ عنه من أمور غيبية سابقة أو لاحقة. كما أنه معجز في تشريعه الحكيم ووضع الضوابط لصيانة حقوق الإنسان في كل زمان ومكان. والقرآن أولاً وآخرأ هو الذي صير العرب الرعاة شعوباً وقادة أمم وهذا وحده إعجازٌ . . .

شروط المعجزة

س: هل للمعجزة شروط؟

ج: نعم للمعجزة شروط خمسة نبه إليها العلماء، فإن اختل شرط واحد منها لا تكون معجزة. وهي:

الشرط الأول: أن تكون بما لا يقدر عليه إلا الله رب العالمين.

الشرط الثاني: أن تخرق العادة. وتكون مخالفة للسنة الكونية.

الشرط الثالث: أن تقع على وفق دعوى النبي المتحدي بتلك المعجزة.

الشرط الرابع: أن يستشهد بها مدعي الرسالة على صدق دعواه.

الشرط الخامس: ألا يأتي أحد بمثل تلك المعجزة على وجه المعارضة.

فهذه الشروط الخمسة إن تحققت كان ذلك الأمر الخارق للعادة معجزة دالة على نبوة صاحب الرسالة التي ظهرت المعجزة على يديه، وإذا لم تتحقق هذه الشروط الخمسة خرجت المعجزة عن كونها معجزة. ولقد تحققت كل هذه الشروط في معجزة (القرآن الكريم) المنزل على خير خلق الله أجمعين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه الغر الميامين.

وجوه إعجاز القرآن الكريم

س: ما هي أوجه إعجاز القرآن الكريم؟

- ج: لإعجاز القرآن الكريم وجوه عشرة يعرف بها. وهي كما يلي: -
- ١ - النظم البديع للقرآن المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب.
 - ٢ - الأسلوب العجيب المخالف لجميع الأساليب العربية.
 - ٣ - الجزالة التي لا يمكن لمخلوق أن يأتي بمثلا.
 - ٤ - التشريع الدقيق الكامل الذي يلفظ كل تشريع وضعي.
 - ٥ - الإخبار عن المغيبات التي لا يمكن معرفتها إلا عن طريق الوحي.
 - ٦ - عدم التعارض مع العلوم الكونية المقطوع بصحتها.
 - ٧ - الوفاء بكل ما أخبر عنه القرآن الكريم من وعد ووعد.
 - ٨ - العلوم والمعارف التي اشتملت على العلوم الشرعية والكونية.
 - ٩ - وفاؤه بحاجات البشر على مدى الأزمان.
 - ١٠ - تأثيره البالغ في قلوب أتباعه وأعدائه على السواء. (١)

(١) التبيان في علوم القرآن للصابوني. بتصرف.

أسئلة وتطبيقات

س ١: عرف الإعجاز والمعجزة.

س ٢: أذكر المراحل الثلاث التي تحدى القرآن بها العرب. مع ذكر الدليل.

س ٣: اذكر شروط المعجزة.

س ٤: اذكر خمسة من وجوه الإعجاز القرآني التي يعرف بها.

قصص القرآن

س: ما هو القصص؟

ج: القصص: هو الأخبار المتتابعة. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهَوٌّ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾^(٢).

س: هذا تعريف القصص. فما هي القصة؟

ج: القصة قيل هي: الأمر- الخبر- الشأن- الحال. وقصص القرآن: إخباره عن أحوال الأمم الغابرة، وشأن النبوات السابقة والحوادث الواقعة، وأمور كثيرة أخرى، وقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من وقائع الماضي وتاريخ الأمم وذكر البلاد والديار وما حدث فيها. وتتبع آثار كل قوم، كما حكى القرآن الكريم عن الجميع صورة ناطقة كما كانوا عليه في عصورهم وحياتهم.

(١) سورة آل عمران آية رقم ٦٢.

(٢) سورة يوسف عليه السلام آية رقم (١١١).

أنواع القصص

س: هل للقصص القرآني أنواع؟ وما هي؟

ج: نعم. للقصص القرآني أنواع ثلاثة وهي: -

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن هذا النوع دعوة الأنبياء لقومهم والمعجزات التي أيدهم الله تعالى بها، وموقف المعاندين من قومهم لهم، ومراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة كل المؤمنين والمكذبين، كما ورد ذلك في القرآن الكريم في قصة نوح، وإبراهيم، وموسى وهارون، وعيسى، ومحمد وغيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

النوع الثاني: قصص قرآني. وهذا النوع يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم كقصة القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وقصة طالوت وجالوت، وقصة ابني آدم، وقصة أهل الكهف، وقصة ذي القرنين، وقصة قارون، وقصة أصحاب السبت، وقصة مريم، وقصة أصحاب الفيل وغير ذلك من القصص لما حدث في أمم سابقة.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالأحداث التي وقعت في زمن رسول

الله ﷺ، كغزوة بدر وأحد كما وردتا في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك كما وردتا في سورة التوبة، وغزوة الأحزاب التي أوردها الله تعالى في سورة الأحزاب، وقصة الهجرة والإسراء ونحو ذلك مما حدث في زمن المصطفى ﷺ.

س: هل للقصص القرآني فوائد؟

ج: نعم للقصص القرآني فوائد نذكر منها ما يلي: -

١ - إيضاح أسس الدعوة إلى الله تعالى، ويتضح ذلك في بيان أصول الشرائع التي بعث الله بها كل نبي من الأنبياء المرسلين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(١).

٢ - تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم.

٣ - إظهار صدق النبي محمد ﷺ في دعوته بما أخبر به عن أحوال الأمم السابقة عبر القرون والأجيال الغابرة.

٤ - تثبيت قلب النبي ﷺ وقلوب المؤمنين معه على دين الله تعالى، وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده وخذلان الباطل وأهله - كما جاء في محكم التنزيل: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ أَرْسَلْنَا مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

٥ - معارضة لأهل الكتاب بالحجة القوية فيما كتموه من البينات

(١) سورة الأنبياء آية رقم ٢٥.

(٢) سورة هود عليه السلام آية رقم ١٢٠.

والهدى من بعد ما بينه الله تعالى لهم وتحديه لهم بما كان في كتبهم ، كما
حكى القرآن الكريم عنهم في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاً
لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ
فَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) .

والقصص : ضرب من ضروب الأدب ، ونوع من أنواع العبر ، يصغي
إليه السمع وترسخ عبره في النفوس البشرية كما قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ
كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٢) .

(١) سورة آل عمران آية رقم ٩٣ .

(٢) سورة يوسف عليه السلام آية رقم (١١١) .

الحكمة من تكرار القصص

س: ما الحكمة من تكرار القصص في القرآن الكريم؟

ج: الحكمة من ذلك، أن القرآن الكريم يشتمل على كثير من القصص التي تتكرر في غير موضع منه فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن الكريم وتعرض في صور مختلفة في التقديم والتأخير والإيجاز والإطناب وما شابه ذلك. مع أن السبب واحد، ومن حكمة هذا نورد ما يلي: -

أولاً: بيان بلاغة القرآن العظيم في أعلى مراتبها، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يختلف عن الآخر، كما تصاغ القصة في قالب غير القالب الأول، ولهذا لا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معانٍ لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.

ثانياً: قوة الإعجاز. فإبراز المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب البلغاء عن الإتيان بصورة منها مع بلاغتهم أبلغ في التحدي.

ثالثاً: الاهتمام بشأن القصة لأنها محبة إلى النفس وتمكين لعبورها في نفس المستمع لأن التكرار من طرق التأكيد وعلامات الاهتمام. كما هو

الحال في قصة موسى عليه السلام مع فرعون، لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل غاية التمثيل. علماً بأن القصة لا تتكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها وإنما تتكرر في كل موضع بأسلوب يختلف عن الآخر، وذلك مما يشد انتباه القارئ والسامع لها في كل موضع من مواضعها.

رابعاً: اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة، فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض المطلوب منها في مقام كما تبرز معاني أخرى في سائر المقامات حسب ما يقتضيه الحال.

وكيف لا يكون كذلك وهو كلام رب العالمين الذي أحاط بكل شيء علماً.

والله تعالى أعلم.

أسئلة وتطبيقات

- س ١ : عرف القصص . وما هو القصص في القرآن؟
- س ٢ : القصص في القرآن على أنواع ثلاثة . أذكرها .
- س ٣ : اذكر فوائد القصص القرآني .
- س ٤ : تكرر القصص في القرآن الكريم له حكمة . اذكر بعض أنواعها .

الأمثال في القرآن الكريم

س: ما هي الأمثال؟

ج: الأمثال: جمع مثل. والمثل والمثال كالشبه والشبيه في اللفظ والمعنى، ويطلق كذلك على الحال والقصة العجيبة نحو قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾^(١) أي قصتها وصفتها التي يتعجب منها.

أنواع الأمثال

س: ما أنواع الأمثال في القرآن؟

ج: للأمثال أنواع ثلاثة وهي: ١ - الأمثال المصراحة. ٢ - الأمثال الكامنة. ٣ - الأمثال المرسلة. وإليك بيانها مفصلة:

أولاً - الأمثال المصراحة: وهي ما كان اللفظ فيها صريحاً بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ﴾^(٢) وكقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣) شبه الله تعالى حال

(١) سورة محمد ﷺ آية رقم ١٥.

(٢) سورة يونس عليه السلام آية رقم ٢٤.

(٣) سورة البقرة آية رقم ١٧ - ٢٠.

المنافقين في هذه الآيات الكريمت حين انتفعوا بالدخول في دين الإسلام ولكن لم يكن له أثر في قلوبهم بحال الذي استوقد ناراً للإضاءة والنفع ، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وأبقى لهم ما فيها من الإحراق ، فانتفعوا مادياً بالدخول في الإسلام ولكن لم يكن له أثر في قلوبهم فذهب الضوء عنهم وبقي لهم الإحراق. هذا المثل تشبيهاً بالنار، أما مثلهم المشبه بالماء، فسيبهم بحال من أصابهم مطر غزير وفيه ظلمة ورعد وبرق فخافوا وخارت قواهم ووضعوا أصابعهم في آذانهم وأغمضوا عيونهم خوفاً من صاعقة واقعة بهم. وهذا المثل يؤخذ من الآية الكريمة ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَةٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (١) لأن القرآن العظيم حينما نزل عليهم بزواجه وأوامره ونواهيهِ في خطابه لهم ، نزل عليهم نزول الصواعق - هذا من الأمثال المصرحة في القرآن الكريم .

ثانياً: الأمثال الكامنة: وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل ، ولكنها تدل على معانٍ رائعة في إيجاز. ويمثلون لهذا النوع بأمثلة كهذه الأمثلة: -

١ - مثال «خير الأمور الوسط» يقابله من أمثال القرآن قوله تعالى: ﴿ لَا فَارِصٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ (٢) في وصف البقرة. وبقوله تعالى:

(١) سورة البقرة آية رقم ١٩ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٦٨ .

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ ﴾^(١) هذا مثال للاعتدال في الإنفاق.

٢ - مثال قوهم: «ليس الخبر كالعيان» يقابله من أمثلة القرآن قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَوْلَمَّا تَأْمِنُونَ قَالِ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّبَطْمِينٍ قَلْبِي ﴾^(٢) يفيد أن الرؤيا أولى من السماع.

٣ - مثال قوهم: «كما تدين تدان» يقابله قوله تعالى: ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِبْهُ ﴾^(٣) وهذا المثال يفيد ما عمله تجده.

٤ - مثال قوهم: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» يقابله في القرآن قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام لأبنائه: ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٤) والأمثلة على هذا النوع كثيرة لا يتسع لحصرها هذا المختصر^(٥).

ثالثاً - الأمثال المرسلّة: هي التي أرسلت جملها إرسالاً من غير تصريح بلفظ يدل على التشبيه فهي آيات جارية مجرى الأمثال. مثال ذلك من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَحْصَحْصِ الْحَقَّ ﴾^(٦) وقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾^(٧) وقوله تعالى: ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي

(١) سورة الاسراء آية رقم ٢٩.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٦٠.

(٣) سورة النساء آية رقم ١٢٣.

(٤) سورة يوسف عليه السلام آية رقم ٦٤.

(٥) ارجع إلى الإتيان للسيوطي. الجزء الثاني صفحة ١٣٢، ١٣٣.

(٦) سورة يوسف عليه السلام آية رقم ٥١.

(٧) سورة النجم آية رقم ٥٨.

فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿١﴾ وقد قال بعض العلماء: (إذا سمعت المثل في القرآن ولم أفهمه بكيت على نفسي. لأن الله تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ﴿٢﴾. وقد أخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن القرآن نزل على خمسة أوجه، حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال» ﴿٣﴾ صدق رسول الله ﷺ.

(١) سورة يوسف عليه السلام آية رقم ٤١.

(٢) سورة العنكبوت آية رقم ٤٣.

(٣) انظر الإتقان للسيوطي. الجزء الثاني صفحة ١٣١.

فوائد الأمثال

س: ما فوائد المثل في القرآن الكريم؟

ج: لمعرفة الأمثال القرآنية فوائد جمّة - نوجزها فيما يلي: -

أولاً: إبراز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس، حيث ضرب الله المثل لبيان حال المنفق رياءً بأنه لا يحصل من إنفاقه على شيء من الثواب. فقال تعالى: ﴿مَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾^(١).

ثانياً: الأمثال تكشف عن الحقائق وتبين الغائب في معرض الحاضر، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(٢).

ثالثاً: الأمثال تجمع المعاني الرائعة في عبارات موجزة، كالأمثال الكامنة والمرسلة التي سبق ذكرها.

رابعاً: يضرب المثل للترغيب. كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٦٤.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٧٥.

حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾.

خامساً: يضرب الله تعالى المثل للتفكير. حيث يقول جل ذكره: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (٢).

سادساً: يضرب الله تعالى المثل للمدح كما في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ إلى أن قال: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣) وقد نزل هذا في حق صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين في وصفهم بأكمل الأوصاف الإيمانية.

والأمثال في الحقيقة أوقع في النفس وأبلغ في الوعظ والإرشاد وأقوى من الزجر. وفي شدة انتباه السامع وفي الإقناع بها عند سماعها. وقد أكثر الله تعالى من الأمثال في القرآن الكريم للتذكرة والعبرة، كما استعملها الرسول ﷺ في كثير من أحاديثه الشريفة واستعان بها الداعون إلى الله تعالى في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحججة وكذلك ليستعين بها الربون ويعتبرونها من وسائل جذب الانتباه والإيضاح والتشويق، ليتمكنوا من إيصال ما يريدون إيصاله إلى المستمع، وذروة هذا كله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤).

والله تعالى أعلم

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٦١.

(٢) سورة الحجرات آية رقم ١٢.

(٣) سورة الفتح آية رقم ٢٩.

(٤) سورة الزمر آية رقم ٢٧.

أسئلة وتطبيقات

- س ١: عرّف الأمثال . مع ذكر الدليل عليها من القرآن الكريم .
- س ٢: كم نوعاً للأمثال في القرآن الكريم؟ وضحها مع تعريف كل نوع منها .
- س ٣: للأمثال في القرآن فوائد . اذكر بعضاً منها مع ذكر الدليل من القرآن الكريم .

قواعد رسم المصحف

س: ما هي قواعد رسم المصحف مع بيانها مفصلة؟

ج: القرآن الكريم معجز في كل شيء - ومن إعجازه أنه اختص بقواعد معينة في خطه ورسمه، يختلف عن الخط العادي. والله تعالى في ذلك حكمة، وللمصحف العثماني قواعد في خطه ورسمه. حصرها علماء هذا الفن في ست قواعد. هي -

١ - قاعدة الحذف. ٢ - قاعدة الزيادة. ٣ - قاعدة الهمز. ٤ - قاعدة البدل. ٥ - قاعدة القطع والوصل. ٦ - قاعدة ما فيه قراءتان - وإليك أخي القارئ الكريم بيانها مفصلة: -

س١: ما هي قاعدة الحذف؟ مع التمثيل.

ج: قاعدة الحذف تدور في حذف الأحرف الثلاثة وهي الألف والياء والواو. وبعض حروف أخرى تذكر في مكانها. ونبدأ ببيان حذف الألف فنقول وبالله التوفيق: -

أولاً: تحذف الألف رسماً من ياء النداء نحو ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ومن هاء التنبيه نحو ﴿هَاتُمْتُمْ﴾ ومن بين اللامين في كلمة ﴿الْكَلَلَةَ﴾ ومن كل ما جمع على وزن (مفاعل) وشبهه نحو ﴿الْمَسْجِدِ﴾ ونحو ذلك إلا ما وقع في استثناء.

ثانياً: تحذف الياء رسماً من كل منقوص منون رفعاً وجرأ نحو ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾^(١) وتحذف كذلك من هذه الكلمات: ﴿أَطِيعُونَ﴾، ﴿آتَقُونَ﴾، ﴿خَافُونَ﴾، ﴿فَأَرْسَلُونَ﴾، ﴿وَأَعْبُدُونَ﴾ إلا ما استثنى من ذلك.

ثالثاً: تحذف الواو رسماً إذا وقعت مع واو أخرى في نحو ﴿فَأَوْتُوا إِلَى الْكُفَّهِ﴾^(٢) - ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾، كما تحذف الواو رسماً من هذه الأفعال الأربعة وهي: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ﴾^(٣) - ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾^(٤)، ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾^(٥)، ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾^(٦). كما تحذف من كلمة الداع في قوله تعالى ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾^(٧). وتحذف اللام إذا كانت مدغمة في مثلها نحو (وَأَلْبِلْ، أَلْدِي) إلا ما استثنى. وهناك حذف لا يدخل تحت قاعدة معينة مثل حذف الألف من كلمة ﴿مَلِكٍ﴾ وتحذف أيضاً من كلمة ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ وهذه الأمثلة للحذف على سبيل المثال لا الحصر.

س ٢: ما هي قاعدة الزيادة؟ مع التمثيل.

ج: قاعدة الزيادة خلاصتها أنها أيضاً تدور في الألف والياء والواو،

(١) سورة البقرة آية رقم ١٧٣.

(٢) سورة الكهف آية رقم ١٦.

(٣) سورة الاسراء آية رقم ١١.

(٤) سورة الشورى آية رقم ٢٤.

(٥) سورة القمر آية رقم ٦.

(٦) سورة العلق آية رقم ١٨.

(٧) سورة القمر آية رقم ٨.

وإليك بيانها بالتفصيل : -

أولاً: تزداد الألف بعد الواو في آخر كل اسم مجموع أو في حكم المجموع وذلك في نحو (ملاقوا) في قوله تعالى: ﴿مَلَقُوا رَبَّهُمْ﴾ وفي مثل (بنوا) من قوله تعالى: ﴿بَنُوا إِسْرَائِيلَ﴾ وفي نحو ﴿أولوا﴾ من قوله تعالى: ﴿أولوا الألباب﴾ وما شابه ذلك. وتزداد الألف بعد الهمزة المرسومة واواً نحو ﴿تَاللَّهِ تَفْتُونَ﴾ كما تزداد الألف بعد الميم في كلمة (مائة) ، (مائتين) وتزداد ألف في آخر هذه الكلمات الثلاث (الظنونا، الرسولا، السببلا) في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا﴾^(١) وفي قوله: ﴿وَاطْعَنَا الرَّسُولَا﴾^(٢) وفي قوله تعالى: ﴿فَاضْلُونَا السَّبِيلَا﴾^(٣).

ثانياً: تزداد الياء في كلمة (بأييد) في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾^(٤) وما أشبهها.

ثالثاً: تزداد الواو في نحو (اولو) ، (أولئك) ، (أولاء) ، (أولات) وما أشبهها.

س ٣: ماهي قاعدة رسم الهمز في القرآن؟ مع التمثيل.

ج: قاعدة رسم الهمز في القرآن تتلخص فيما يأتي: -

(١) سورة الأحزاب آية رقم ١٠.

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٦٦.

(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٦٧.

(٤) سورة الذاريات آية رقم ٤٧.

أولاً: إذا كانت ساكنة تكتب بحرف حركة ما قبلها نحو (اِئذْنِ لِي)، (أَوْثَمِنَ)، (البَأْسَاءِ) إلا ما استثني.

ثانياً: إذا كانت الهمزة متحركة وكانت أول الكلمة واتصل بها حرف زائد كتبت بالألف مطلقاً سواء كانت مفتوحة نحو (وَأَيُّوبَ) أو نحو (سَأَصْرَفُ) أم كانت مكسورة نحو (إِذَا، فَإِذَا) أم كانت مضمومة نحو (أُولُو) ونحو (سَأَنْزِلُ).

ثالثاً: إذا كانت الهمزة وسطاً فإنها تكتب بحرف من جنس حركتها مثل (سَأَلَ)، (سُئِلَ)، (يَقْرَؤُنَ) إلا ما استثني من ذلك.

رابعاً: إذا كانت الهمزة متطرفة كتبت بحرف من جنس حركة ما قبلها نحو (سَبَأَ)، (شَاطِئِ)، (لَوْلُو) إلا ما استثني من ذلك.

س ٤: ما هي قاعدة الإبدال؟ مع التمثيل لها.

ج: قاعدة الإبدال خلاصتها: -

أولاً: أن الألف تكتب واوياً في مثل هذه الكلمات (اَلصَّلَاةِ)، (اَلزَّكَاةِ)، (اَلْحَيَاةِ) إلا ما استثني.

ثانياً: ترسم الألف ياء إذا كانت منقلبة عن ياء نحو (يَتَوَفَّكُمُ)، (يَحَسِّرُنِي)، (يَنَاسِنِي).

ثالثاً: ترسم الألف ياء في هذه الكلمات (إِلَى، عَلَى، أَنِي، مَتَى، بَلِي، حَتَّى، لَدَى) ما عدا لفظ ﴿لَدَا أَلْبَابٍ﴾ ترسم بالألف في سورة يوسف.

رابعاً: ترسم النون ألفاً في نون التوكيد الخفيفة وفي كلمة (إذاً).

خامساً: ترسم هاء التانيث تاء مفتوحة في الكلمات الآتية (رحمت، نعمت، لعنت، معصيت، شجرت، قرت، جنت، بقيت) في بعض مواضع كل منها في القرآن، فارجع إلى باب التاءات في كتب القراءات.

سادساً: ترسم التاء مفتوحة في كل كلمة (امرات) أضيفت إلى زوجها مثل (امرات نوح، امرات لوط، امرات فرعون) أما إذا لم تضاف إلى زوجها فإنها ترسم بالهاء أو بالتاء المربوطة وهكذا. مثل ﴿وَأَمْرًاؤُةٓ مُؤْمِنَةً﴾ بسورة الأحزاب.

س ٥: ما هي قاعدة القطع والوصل؟ مع التمثيل لها.

ج: قاعدة القطع والوصل تتلخص في الآتي: -

تقطع (أن) بفتح الهمزة وسكون النون مثل ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا﴾ ونحو ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا﴾ في عشرة مواضع. وما عداها فبالوصل، وتوصل (من) بـ (ما) إذا وقعت بعدها، ويستثنى من ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ مَّالَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ بالنساء والروم، و ﴿مِنْ مَّا رَزَقْنٰكُمْ﴾ بالمنافقين. وتوصل (من) بـ (من) مطلقاً، وكلمة (عن) بـ (ما) إلا في قوله تعالى: ﴿عَنْ مَّأْنُهٗوَا عَنْهٗ﴾^(١) كما توصل كلمة (أن) المفتوحة الهمزة بـ (ما) مطلقاً. وتوصل (إن) المكسورة الهمزة بـ (ما) التي بعدها إلا في قوله

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٦٦.

تعالى: ﴿ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ ۙ ﴾^(١).

وكذلك كلمة (كل) توصل بكلمة (ما) التي بعدها إلا في قوله تعالى: ﴿ كُلَّ مَارُدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا ﴾^(٢) وفي قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَانَكُمْ مِنْ كُلِّ مَسْأَلَتُمْوَةٍ ۙ ﴾^(٣). كما توصل رسماً هذه الكلمات (نعما ، ربما، كأنما) و(ويكأن) ونحوها^(٤).

س: ما هي قاعدة ما فيه قراءتان في الرسم؟ مع بيان ذلك.

ج: قاعدة ما فيه قراءتان خلاصتها: -

أن الكلمة إذا قرئت على وجهين من القراءات الصحيحة المتواترة كتبت برسم أحدهما، كما رسمت الكلمات الآتية:

كلمة ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾، ﴿ يُخَدِّعُونَ ﴾، ﴿ وَوَعَدْنَا ﴾، ﴿ تُفْلِدُوهُمْ ۙ ﴾ ونحوها رسمت بلا ألف وهي مقروءة بإثبات الألف وحذفها. ومثل كلمة: ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ حيث أنها تقرأ بالافراد والجمع، ومثل هذا كثير في القرآن الكريم وحسبنا في هذا ما ذكرناه على سبيل المثال لا الحصر لتتوير القارىء بمبادئ معرفة قواعد الرسم العثماني، ومن أراد زيادة المعرفة فعليه بكتب الرسم المختصة. والله تعالى أعلم.

(١) سورة الرعد آية رقم ٤٠.

(٢) سورة النساء آية رقم ٩١.

(٣) سورة إبراهيم عليه السلام آية رقم ٣٤.

(٤) ارجع إلى كتب الرسم إذا أردت التوسع في هذا الباب.

أسئلة وتطبيقات

- س ١: كم عدد قواعد الرسم العثماني؟
- س ٢: اذكر قاعدة ما فيه قراءتان مع التمثيل.
- س ٣: اذكر قاعدة الإبدال مع التمثيل.
- س ٤: ما هي قاعدة الحذف مع ذكر أمثلة لها؟

التفسير والتأويل

أولاً: التفسير

س: ما هو التفسير؟

ج: التفسير في اللغة: بمعنى الإبانة والكشف وإظهار المعنى المعقول.

والتفسير في الاصطلاح: عرفة بأنه علم يبحث عن كيفية الفهم لألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامه الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب. وقال بعضهم التفسير هو: الإبانة وكشف المراد من اللفظ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾^(١) أي بياناً وتفصيلاً، وقد عرفه الزركشي بقوله: التفسير علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه.

ثانياً: التأويل

س: ما هو التأويل؟

ج: التأويل في اللغة: مأخوذ من الأول. وهو الرجوع إلى الأصل، يقال: آل إليه أولاً ومآلاً. أي مرجعاً، ويقال: أول الكلام تأويلاً، وتأوله:

(١) سورة الفرقان آية رقم ٣٣.

أي دبره وقدره وفسره. وعلى هذا فتأويل الكلام في الاصطلاح له معنيان: -

المعنى الأول: تأويل الكلام بمعنى ما أوله إليه المتكلم، أو ما يؤول إليه الكلام ويرجع، والكلام إنما يرجع ويعود إلى حقيقته التي هي عين المقصود.

المعنى الثاني: تأويل الكلام. أي تفسيره وبيان معناه، وهذا ما عناه ابن جرير الطبري في تفسيره بقوله: (القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا) وبقوله أيضاً: (اختلف التأويل في هذه الآية) فإن مراده التفسير. ومن هذا يتضح أن التفسير والتأويل لفظان مترادفان في أشهر المعاني اللغوية.

الفرق بين التفسير والتأويل

س: ما هو الفرق بين التفسير والتأويل؟

ج: الفرق بين التفسير والتأويل موضع خلاف بين العلماء، ونستخلص لك عزيزي القارئ أهم الآراء عندهم بما يتناسب مع هذا المختصر:

أولاً: إذا ثبت أن التأويل هو تفسير الكلام وبيان معناه، فالتأويل والتفسير على هذا المعنى متقاربان أو مترادفان، ومن هذا المعنى وهذا القول دعوة النبي ﷺ لابن عباس بقوله صلوات الله وسلامه عليه: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

ثانياً: وإذا ثبت أن التأويل هو نفس المراد بالكلام. فتأويل الطلب هو نفس الفعل المطلوب، وتأويل الخبر هو نفس الشيء المخبر به. فعلى هذا يكون الفرق كبيراً بين التفسير والتأويل، لأن التفسير شرح وإيضاح للكلام، ويكون وجوده في الذهن بتعقله به، وفي اللسان بالعبرة الدالة عليه. أما التأويل فهو نفس الأمور الموجودة في الخارج. وقد ضربوا لذلك مثلاً وهو: إذا قيل طلعت الشمس، فتأويل هذا هو نفس طلوعها. وهذا هو الغالب في لغة القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَّهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا

مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعَلَمِهِ
وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلَهُ ﴿٣٩﴾ فالمراد بالتأويل هنا وقوع المخبر به.

ثالثاً: قيل إن التفسير: هو ما وقع مبيناً في كتاب الله تعالى، أو معيناً عليه في صحيح السنة لأن معناه قد ظهر واتضح. والتأويل: هو ما استنبطه العلماء - ولذا قال بعضهم التفسير هو ما يتعلق بالرواية والتأويل هو ما يتعلق بالدراية. وهذا ما قاله السيوطي في كتاب الاتقان^(٢).

رابعاً: قيل إن التفسير هو: ما كثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، والتأويل هو ما كثر استعماله في المعاني والجمل. وقيل غير ذلك مما لا يتسع هذا المختصر لحصره.

والله تعالى أعلم.

(١) سورة يونس عليه السلام آية رقم ٣٨، ٣٩.

(٢) انظر الاتقان للسيوطي الجزء الثاني صفحة ١٧٣ - ١٧٤.

شرف التفسير

س: ما منزلة التفسير بين العلوم الشرعية؟

ج: التفسير في الحقيقة من أجل علوم الشريعة الإسلامية الحنيفة وأرفعها قدراً وأعلاها شأنًا، كما هو أيضاً أشرف العلوم موضوعاً وغرضاً وحاجةً إليه، لأنه متعلق بكلام الله تعالى، وإن شرف علم التفسير لا يخفى فقد قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(١) وأخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ قال المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله^(٢). فعلم التفسير قد حاز الشرف من جهات ثلاث: .

أولاً: من جهة الموضوع: فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه.

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٦٩.

(٢) الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ١٧٥.

ثانياً: من جهة الغرض: فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفتنى.

ثالثاً: من جهة شدة الحاجة إليه: فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجل أو آجل مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى وبما جاء فيه من أمر ونهي وتشريح حكيم ونظام مستقيم.

والله تعالى أعلم.

أسئلة وتطبيقات

- س ١: ما هو التفسير لغة واصطلاحاً؟
- س ٢: للتأويل في الاصطلاح معنيان. اذكرهما.
- س ٣: اختلف العلماء في الفرق بين التفسير والتأويل. اذكر اثنين من آرائهما.

شروط المفسر وآدابه

أولاً: شروط المفسر

س: ما هي شروط المفسر للقرآن الكريم؟ مع ذكرها باختصار.

ج: شروط المفسر لكتاب الله تعالى قد ذكرها العلماء في عدة شروط نختصرها لك فيما يأتي: -

أولاً: صحة العقيدة - لأن صحة العقيدة لها أثر كبير في نفس صاحبها، وما يتأثر به الإنسان يظهر في كلامه منطوقاً ومكتوباً.

ثانياً: التجرد عن الهوى، فالأهواء تدفع أصحابها إلى نصره مذهبهم ولو كانت على غير حق.

ثالثاً: أن يطلب تفسير القرآن بالقرآن، فإن بعض القرآن يفسر بعضه، فما أجمل منه في موضع، فإنه قد فصل في موضع آخر، وما اختصر منه في مكان فإنه قد بسط في مكان آخر. وهكذا.

رابعاً: أن يطلب تفسير القرآن بالسنة النبوية، وذلك لأن السنة شارحة للقرآن وموضحة له، وقد ذكر القرآن الكريم أن أحكام الرسول ﷺ التي كان يحكم بها، فإنها كانت صادرة منه ﷺ عن طريق الله تعالى. وقد بين ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ

بِالْحَقِّ لِنَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْتِكَ اللَّهُ ﴿١﴾ الآية. ولهذا قال الرسول ﷺ «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» (٢) أي السنة.

خامساً: أقوال الصحابة، لأنهم أدري بذلك من مشاهدتهم للعديد من القرائن والأحوال والحوادث عند نزول القرآن الكريم، ولما لهم من خصوصية الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح مع الإخلاص الكامل لله ولرسوله. وقد روى الحاكم في المستدرک أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل على رسول الله ﷺ له حكم المرفوع، ولأنهم هم الأئمة الأول على الرسالة الإسلامية وكان الواحد منهم إذا تعلم من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزها حتى يعلم ما فيها من العلم والعمل. وكما ورد أن ابن عمر رضي الله عنهما أقام على حفظ سورة البقرة ثمان سنين. أخرجه في الموطأ. وذلك لفهم أمر الله تعالى في قوله جل وعلا: ﴿ كَتَبْنَا نُزْلَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبُوا بِآيَاتِهِ ﴾ (٣).

سادساً: أقوال التابعين، فإذا لم يجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة. فإنه يرجع إلى أقوال التابعين وقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين كمجاهد، وسعيد بن جبیر، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، وقتادة، والحسن البصري وغيرهم، ومن التابعين من تلقى التفسير عن الصحابة رضوان الله

(١) سورة النساء آية رقم ١٠٥.

(٢) انظر الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ١٧٦.

(٣) سورة ص آية رقم ٢٩.

نعالي عليهم أجمعين .

سابعاً: أن يكون عالماً باللغة العربية وفروعها، لأن القرآن نزل بلغة العرب، ولا بد للمفسرين من معرفة مفردات الألفاظ عند الشرح. حتى لا يقول في كلام الله تعالى ما لا يجوز ولا يليق. وقد قيل في هذا (لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب).

ثامناً: أن يكون عالماً بأصول العلوم المتصلة بالقرآن وعلم التوحيد، حتى لا يؤول آيات الكتاب العزيز التي في حق الله تعالى وصفاته تأويلاً يتجاوز به الحق والصواب، كما يجب عليه أن يكون عالماً بعلم الأصول، وأصول التفسير خاصة والناسخ والمنسوخ ونحو ذلك من العلوم التي تتعلق بالقرآن الكريم.

تاسعاً: دقة الفهم - أو علم الموهبة - كما قال السيوطي في كتاب الاتقان، وهو الذي به يتمكن المفسر من ترجيح معنى على معنى آخر. وهذا علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم. كما ورد في الحديث الشريف: «من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم» وقد قال ابن أبي الدنيا: (علوم القرآن وما يستنبط منها بحر لا ساحل له. فمعرفة هذه العلوم القرآنية ضرورية للمفسر لأنها بالنسبة له كالألة للصانع ولا يكون المفسر مفسراً إلا بتحصيلها)^(١).

(١) انظر الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ١٨١.

ثانياً: آداب المفسر

س: عرفنا شروط المفسر. فما هي آدابه؟

ج: آداب المفسر للقرآن الكريم كثيرة. نختصرها فيما يلي: -

أولاً: حسن النية وسلامة القصد، لأن الأعمال بالنيات، والعلوم الشرعية عامة أولى بأن يكون هدف القائم بها الخير العام وخدمة الإسلام، وأن يتطهر من أغراض الدنيا الفانية. ليسدد الله تعالى خطاه، ويجعل الجنة مثواه جزاء لإخلاصه لخالفه ومولاه جل علاه.

ثانياً: حسن الخلق، لأن المفسر في مكان المؤدّب، ولا تصل الآداب إلى نفس المؤدّب إلا إذا كان المؤدّب مثلاً يحتذى به في الخلق الحسن. وقد نقل الإتيقان عن البرهان قوله: (اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا تظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى، أو حب الدنيا أو إصرار على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوله هو، فهذه كلها حجب وموانع للمفسر عن أن يصل إلى ما يصبو إليه.

ثالثاً: أن يتحرى الصدق والضبط في النقل، فلا يتكلم ولا يكتب إلا عن ثبت لما يقوله، حتى يكون في مأمن من اللحن أو الخطأ أو الطعن.

رابعاً: أن يكون متواضعاً لين الجانب، فالصلف والتكبر يحولان بين العالم والانتفاع بعلمه، فلو كان علمه نافعاً لنفعه.

خامساً: أن يكون عزيز النفس، فمن الواجب عليه أن يترفع عن سفاسف الأمور، ولا يضع نفسه في مواضع الذلة والمهانة.

سادساً: أن يتحلى بالتأني والروية في حديثه. فلا يسرد كلامه سرداً سريعاً حتى لا يفهمه المستمع، بل عليه أن يفصل الكلام ويبينه ويوضحه ويخرج الحروف من مخارجها. لكي يفهمه المستمع.

سابعاً: أن يجهر بالحق مهما كلفه ذلك، فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

ثامناً: أن يقدم من هو أولى منه إذا حضر معه في المجلس، فلا يتصدى للتفسير بحضرتهم وكذلك لا يغمطهم حقهم بعد لقائهم لربهم.

تاسعاً: أن يحسن الإعداد وطريقة الأداء، فيضع كل شيء في موضعه ويرتب الأبواب كل حسب ما يقتضيه الحال.

والله تعالى أعلم.

أسئلة وتطبيقات

س ١ : للمفسر شروط. اذكر أربعة منها.

س ٢ : اذكر خمسة من آداب المفسر.

نشأة علم التفسير

س: كيف نشأ علم التفسير؟

ج: لقد أنزل القرآن الكريم عربياً، على رسول عربي، بلسان عربي مبين، فكان الرسول ﷺ يفهم القرآن جملة وتفصيلاً، وقد تكفل الله تبارك وتعالى ببيان القرآن وحفظه لرسوله ﷺ فقال جل ذكره: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(١) وكان على النبي ﷺ أن يبينه لأصحابه، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢) وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يفهمون القرآن لأنه نزل بلغتهم، وإن كان بعضهم لا يفهم بعض دقائقه. ويقول ابن خلدون في مقدمته (إن القرآن نزل بلغة العرب فكانوا كلهم يفهمونه. ويعلمون معانيه ومفرداته وتراكيبه، ولكنهم مع هذا كانوا يتفاوتون في الفهم للقرآن الكريم، فقد يغيب عن الواحد منهم ما لا يغيب عن الآخر) ولقد كان النبي ﷺ يبين لهم بعض المعاني القرآنية بقوله أو فعله. أي بسنته الجامعة، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم

(١) سورة القيامة آية رقم ١٧ - ١٩.

(٢) سورة النحل آية رقم ٤٤.

جميعاً يعتمدون في تفسيرهم للقرآن في عصر الإسلام الأول على الآتي :-

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن، وكان هذا هو المصدر الأول لهم، فما جاء منه مجملًا في موضع جاء مبينًا في موضع آخر، وما جاء منه عامًا مطلقًا، جاء مقيدًا مخصصًا في موضع آخر من القرآن. وهذا الذي يسمى (تفسير القرآن بالقرآن).

ثانياً: وكان المصدر الثاني لهم المصطفى ﷺ، فهو المبين للقرآن والموضح له بسنته الجامعة من قول أو فعل أو إقرار. وكان الصحابة رضوان الله عليهم يرجعون إليه إذا أشكل عليهم فهم آية من الآيات. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ «شق على الناس. فقالوا: يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه؟ فقال ﷺ: «إنه ليس الذي تعنون. ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: «إن الشرك لظلم عظيم»، إنما هو الشرك»^(٢) أي الظلم هو الشرك.

ثالثاً: كان المصدر الثالث لهم - الفهم والاجتهاد، فكان الصحابة إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله تعالى، ولم يصلوا لشيء في ذلك من عند رسول الله ﷺ اجتهدوا في الفهم. فهم من خلص العرب، يعرفون العربية جيداً، ويحسنون فهمها وخصائصها كما كانوا يعرفون وجوه البلاغة فيها.

(١) سورة الأنعام آية رقم ٨٢.

(٢) رواه الشيخان وأحمد وغيرهم.

أشهر المفسرين من الصحابة

س: من هم أشهر المفسرين من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين؟

ج: اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. وابن مسعود وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير. وكان أكثر المفسرين من الخلفاء الأربعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم عنه. كما أن ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث، أما علي كرم الله وجهه فروي عنه الكثير من الحديث النبوي الشريف، وكما اشتهر بعض أعلام الصحابة بالتفسير اشتهر بعض أعلام التابعين الذين أخذوا عنهم، معتمدين في مصادره على المصادر التي جاءت في العصر السابق، بالإضافة إلى ما كان لهم من اجتهاد ونظر. ولما اتسعت الفتوحات الإسلامية وانتقل كثير من أعلام الصحابة إلى الأمصار المفتوحة، ولدى كل واحد منهم علم غزير، تتلمذ على أيديهم كثير من التابعين ليأخذوا من علمهم ولينهلوا من معارفهم، ونشأت مدارس متعددة، ففي مكة المكرمة نشأت مدرسة ابن عباس، وابن عباس هو ترجمان القرآن الذي دعا له النبي ﷺ وقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» وقد اشتهر من تلاميذ ابن عباس في مكة كثير، منهم

سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة مولى ابن عباس، وطاوس بن كيسان اليماني، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم مع اختلاف في الرواية عن ابن عباس في القلة والكثرة.

وفي المدينة المنورة - اشتهر أبي بن كعب بالتفسير أكثر من غيره، وكان ممن أخذ عنه واشتهر من تلاميذه بواسطة أو بدون واسطة كثير، وعلى رأسهم (محمد بن كعب القرظي، وأبو العالية الرياحي، وزيد بن أسلم) وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

وفي العراق - نشأت مدرسة ابن مسعود وكان من السابقين إلى الإسلام، وكان سادس ستة ما على الأرض سواهم من المسلمين، وكانت مدرسة ابن مسعود كما قال عنها العلماء (نواة مدرسة أهل الرأي) وعرف بالتفسير من أهل العراق كثير من التابعين اشتهر منهم (علقمة بن قيس، مسروق، الأسود بن زيد، مرة الهمداني، عامر الشعبي، الحسن البصري، قتادة بن دعامة السدوسي) هؤلاء هم بعض مشاهير المفسرين من التابعين في الأمصار الإسلامية الذين أخذ عنهم أتباع التابعين من بعدهم وقد تركوا لنا تراثاً علمياً خالداً. جرى الله الجميع خير الجزاء، ثم بدأ التدوين في أواخر عهد بني أمية وأوائل عهد العباسيين، واشتدت عناية جماعة برواية التفسير المنسوب إلى النبي ﷺ أو إلى الصحابة أو إلى التابعين، مع العناية كذلك بجمع الحديث. وما زال المفسرون يكتبون ويكتبون إلى يومنا هذا وسيكتبون ويكتبون إلى يوم القيامة، والقرآن كنز لا ينفد أبداً. والله تعالى أعلم.

أسئلة وتطبيقات

- س ١: تحدث عن نشأة علم التفسير بإيجاز.
- س ٢: لقد كان الصحابة يعتمدون على أمور ثلاثة في تفسيرهم. فما هي هذه الأمور؟
- س ٣: اذكر بعض أسماء الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير.
- س ٤: من هم مشاهير المفسرين من التابعين؟
- س ٥: من الذي اشتهر بالتفسير في المدينة المنورة أكثر من غيره؟
- س ٦: من الذي اشتهر بالتفسير في مكة المكرمة؟

مناهج المفسرين

س: ما هي مناهج المفسرين للقرآن الكريم؟ مع بيان نماذج منها.

ج: لقد كان المفسرون للقرآن كثيرين في كل عصر من العصور الإسلامية، وكان لكل واحد منهم منهج خاص في تفسيره يتميز به عن غيره، كما أن المفسرين كانوا على صنفين. صنف كان تفسيره بالمأثور، وصنف آخر كان تفسيره بالرأي. ونضع هنا مختصراً عن بعض المفسرين في كل صنف لتتعرف على منهج بعضهم كنموذج مختصر في مناهج المفسرين.

س: ما هي مناهج المفسرين بالمأثور؟

ج: مناهج المفسرين تتنوع وتختلف من مفسر إلى آخر، كل حسب المنهج الذي سلكه وارتضاه لنفسه واقتنع به. وإليك بيان ذلك.

أ - كان منهم (ابن جرير الطبري) وكان يكنى بأبي جعفر. ولد سنة ٢٢٤ هـ وتوفي سنة ٣١٠ هـ واشتهر كتابه باسم (جامع البيان في تفسير القرآن) وكتابه هذا كان من أجل التفاسير بالمأثور وأصحابها وأجمعها لأقوال الصحابة والتابعين، ويعتبر بحق المرجع الأول للمفسرين - وقد قال عنه النووي (كتاب ابن جرير الطبري في التفسير

لم يصنف أحد مثله) ويمتاز هذا التفسير بعدة مزايا لما نهجه به نوجزها فيما يلي :-

أولاً: كان يعتمد على المأثور من أقوال النبي ﷺ والصحابة والتابعين.
ثانياً: طريقته الفذة في عرضه للأسانيد وللأقوال المروية وترجيحه لبعضها على بعض.

ثالثاً: ذكره لوجوه الإعراب واستنباط للأحكام الشرعية من الآيات القرآنية الكريمة.

وتفسير الطبري له طرق كثيرة لا يتسع هذا المختصر لذكرها، وهو أقدم كتاب وصل إلينا كاملاً في التفسير وكانت طريقة الطبري في تفسيره أنه إذا أراد أن يفسر آية من القرآن الكريم يقول: (القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا) ثم يفسر الآية مستشهداً بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين من المأثور عنهم من التفسير. ويعرض لكل ما روي في الآية ولا يقتصر على مجرد الرواية، بل كان يوجه الأقوال ويرجح بعضها على بعض وكان يتعرض للإعراب إذا دعت الحالة إلى ذلك، كما كان يستنبط الأحكام الشرعية ويتعرض للسند بالنقد فيعدل من رجال السند، ويعتني بذكر القراءات وتوجيهها، وأخيراً فهو تفسير عظيم، حافل بالروائع والدرر.

ب - ونذكر بعد الطبري من المفسرين بالمأثور (تفسير ابن عطية) واشتهر باسم (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) وابن عطية هو عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ولد سنة ٤٨١ هـ وتوفي سنة

٥٤٦ هـ. وكان من قضاة الأندلس المشهورين ، وكان فقيهاً عظيماً عارفاً بعلوم الحديث والتفسير واللغة والأدب ، وكان ذكي الفؤاد قوي الفهم .

وقد لخص ابن عطية في كتابه هذا ما روي من التفسير بالمنقول وأضفى إليه من روحه العلمية الفياضة ما أكسبه دقة ورواجاً . وكان منهجه أنه كثير الاهتمام بالشواهد الأدبية والصناعة النحوية ، والكتاب يقع في عشر مجلدات كبار ولا يزال مخطوطاً حتى اليوم^(١) ومع هذا فقد ذاع صيته واتسعت شهرته ويقول عنه ابن تيمية : «وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدع من تفسير الزمخشري . ولو ذكر كلام السلف المعهود في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل ، فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدراً»^(٢) .

جـ - ثم نعرض لتفسير ابن كثير واسمه (إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي) وكنيته : أبو الفداء ولد سنة ٧٠٥ هـ وتوفي سنة ٧٧٤ هـ واسم كتابه (تفسير القرآن العظيم) وهو من أشهر ما ألف في التفسير بالمأثور ، ويأتي في المرتبة الثانية بعد كتاب (الطبري) وكان منهجه في التفسير : أنه يفسر كلام الله تعالى بالأحاديث الصحيحة والآثار القوية مسندة إلى أصحابها ، مع الكلام عما يحتاج إليه جرحاً وتعديلاً مع ترجيح بعض الأقوال على بعض وتصحيح بعض

(١) راجع التبيان في علوم القرآن للصابوني ص ١٨٨ .

(٢) من مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ص ٢٣ باختصار .

الروايات وتضعيف البعض الآخر، ومن مميزات تفسير ابن كثير أنه ينبه في كثير من الأحيان إلى ما في التفسير بالمأثور من منكرات إسرائيلية - كما يذكر أقوال العلماء في الأحكام الفقهية، وتفسير ابن كثير هذا من أصح التفاسير بالمأثور وإن لم يكن أصحابها جميعاً، ولا غرابة في هذا فابن كثير رحمه الله تعالى كان جبلاً شامخاً وبحراً زاخراً في العلوم وخاصة في علم التاريخ والحديث والتفسير، وكان إماماً جليلاً حافظاً، أخذ عن ابن تيمية واتبعه في كثير من أقواله. وقد قال عنه الذهبي (الإمام المفتي، المحدث البارع، فقيه متفنن، محدث متقن، مفسر نقال، وله تصانيف مفيدة)^(١) ولنكتفي بذكر هؤلاء الثلاثة الأعلام في معرفة نهج المفسرين بالمأثور.

س: عرفنا مما سبق منهج بعض المفسرين بالمأثور. فما هو منهج المفسرين بالرأي؟

ج: المفسرون بالرأي أيضاً كثيرون لا يتسع المقام لحصرهم، ولكننا في هذا المختصر نعرض لمنهج بعضهم فنقول: -

أ- من أشهر من كتبوا في التفسير بالرأي (العلامة الشيخ محمد بن عمر الرازي) المتوفى سنة ٦٠٦ هـ وتفسيره يسمى (مفاتيح الغيب) ويقع هذا التفسير في ثمان مجلدات كبار، وقد سلك في تفسيره هذا مسلك الحكماء والعلماء، فقد رد فيه على المعتزلة والفرق الضالة بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة وتعرض بقوة لشبهات المنكرين والجاحدين

(١) من كتاب التبيان في علوم القرآن للصابوني ص ١٨٩.

وفند أقوالهم ونقضها، وكان تفسيره من أوسع التفاسير في علم الكلام^(١) كما كان هذا التفسير موسوعة في العلوم الطبيعية والكونية، فقد تحدث فيه عن الأفلاك والأبراج السماوية وعرض السماء والأرض، كما تكلم أيضاً في علم الحيوان والإنسان والنبات بشكل واسع. وكان غرضه من سلوك هذا المنهج نصرة الحق وإقامة البراهين على وجود الله تعالى والرد على أهل الزيغ والضلال. فكان كتابه بهذا موسوعة علمية في هذه العلوم التي ذكرت آنفاً، وبهذا كان كتاباً علمياً أكثر من تفسير.

ب - ومن أشهر من ألف في التفسير بالرأي أيضاً (الشيخ محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي) المتوفى سنة ٧٤٥ هـ وتفسيره يسمى (البحر المحيط) وهو في ثمان مجلدات كبار، وكان منهجه في هذا التفسير الاهتمام بذكر وجوه الإعراب ومسائل النحو باتساع فكان يذكر الخلاف بين النحويين حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى النحو منه إلى التفسير، ويذكر عنه أنه أكبر كاتب صنف في علم التفسير.

ج - مما اشتهر كذلك بالتفسير بالرأي (الإمام العالم شهاب الدين السيد محمود الألوسي) المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ، كان مفتي بغداد، وكان حجة في الأدب قدوة في العلم ومرجعاً لامعاً لأهل الفضل والعرفان. وكتابه يسمى (روح المعاني) وقد جمع فيه آراء السلف رواية ودراية. وكان خلاصة ما سبقه من التفاسير، وهو شديد النقد

(١) علم الكلام يقصد به علم التوحيد والرد على الفلاسفة.

للإسرائيليات ، وكان منهجه أنه يعتني بالتفسير الإشاري وبوجوه
البلاغة والبيان ، ويعتبر هذا التفسير من أفضل المراجع في علم التفسير
بالرواية والدراية .

ونكتفي بذكر منهج هؤلاء الثلاثة العلماء في معرفة مناهج المفسرين
بالرأي .

والله تعالى أعلم .

أنواع التفسير بالرأي

س: ما هي أنواع التفسير بالرأي؟ وأيها أصح؟

ج: التفسير بالرأي نوعان: نوع محمود ونوع مذموم.

١ - فالنوع المحمود في التفسير بالرأي هو ما كان موافقاً لقصد المشرع الحكيم ، بعيداً عن كل ضلالة و جهالة متمشياً مع قواعد اللغة العربية متفهماً لأساليبها في عرض الآيات القرآنية خالياً من الهوى والسمعة ، فمن فسر على هذه الشروط كان تفسيره جائزاً سائغاً مفيداً . ما دام قصده ووجهته خدمة كلام الله تعالى وبيان معانيه بكل صدق وأمانة .

٢ - وأما التفسير المذموم، فهو أن يفسر القرآن بدون علم عنده أو يفسره حسب هواه ومقتضى مذهبه، مع جهله بمعرفة اللغة العربية أو التشريعات الإلهية، أو يحمل كلام الله تعالى على معنى لا يليق به، أو يخوض في الأشياء التي استأثر الله تعالى بعلمها. ويجزم بأنه علامة وأن المراد من كلام الله كذا وكذا على غير حق، فهذا النوع من التفسير يسمى (التفسير المذموم) أو الباطل. ولا شك أن صاحبه يأثم بهذا العمل، ومما لا شك فيه أن تفسير القرآن العظيم لا يناله ولا يصل إليه من قلبه بدعة أو كبر أو حب الدنيا أو ميل إلى المعاصي وفي هذا قال

الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ﴾ (١).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدي لعاص
والله تعالى أعلم

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٤٦.

أسئلة وتطبيقات

س ١: اذكر بعض العلماء الذين فسروا بالمأثور. وما يمتاز به تفسير الطبري.

س ٢: ممن فسروا القرآن الكريم ابن كثير. فما هو منهجه؟

س ٣: ما اسم الكتاب الذي ألفه ابن حيان؟ وما هو منهجه؟

س ٤: بين كلاً من التفسير المحمود والتفسير المذموم.

أشهر كتب التفسير

أشهر كتب التفسير بالمأثور

- ١ - التفسير المنسوب إلى ابن عباس رضي الله عنه.
- ٢ - تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن).
- ٣ - تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز).
- ٤ - تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم).
- ٥ - تفسير السمرقندي (بحر العلوم).
- ٦ - تفسير السيوطي (الدر المنثور في التفسير بالمأثور).
- ٧ - تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن).
- ٨ - تفسير ابن أبي حاتم.
- ٩ - تفسير الجواهر (الجواهر الحسان في تفسير القرآن).
- ١٠ - تفسير الشوكاني (فتح القدير).

هذا على سبيل المثال لا الحصر

والله تعالى أعلم

أشهر الكتب في التفسير بالرأي

- ١ - تفسير الرازي (مفاتيح الغيب).
- ٢ - تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل).
- ٣ - تفسير الجلالين (جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي).
- ٤ - تفسير أبي حيان (البحر المحيط).
- ٥ - تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن).
- ٦ - تفسير الألوسي (روح المعاني).
- ٧ - تفسير الخطيب (السراج المنير).
- ٨ - تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان).
- ٩ - تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل).

وهذا على سبيل المثال لا الحصر

والحمد لله في البدء والختام

وصلى الله على سيدنا محمد خير الأنام وعلى آله وصحبه وسلم

المؤلف

خادم القرآن الكريم والعلم

محمد أحمد محمد معبد

المدرس بمدرسة أبي بن كعب لتحفيظ القرآن الكريم

الابتدائية والمتوسطة والثانوية بالمدينة المنورة

المراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - صحيح البخاري ومسلم .
- ٣ - الاتقان في علوم القرآن (للسيوطي) .
- ٤ - مباحث في علوم القرآن (للشيخ مناع القطان) .
- ٥ - مناهل العرفان (للزرقاني) .
- ٦ - التبيان في علوم القرآن (للشيخ الصابوني) .
- ٧ - تفسير ابن كثير .
- ٨ - تاريخ المصحف لفضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضي .
- ٩ - الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع للشيخ عبد الفتاح القاضي .
- ١٠ - التيسير في القراءات السبع . للإمام أبي عمرو الداني .
- ١١ - التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي .
- ١٢ - البرهان في علوم القرآن (للزركشي)

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	تمهيد
٧	مقدمة من علوم القرآن الكريم
١٣	تعريف القرآن الكريم
١٧	الفرق بين القرآن والحديث النبوي والحديث القدسي
٢٣	الفرق بين القرآن والحديث القدسي
٢٧	الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي
٣١	نزول القرآن الكريم
٣٥	مراحل جمع القرآن وتدوينه
٤١	ترتيب آيات وسور القرآن وأجزائه وأقسامه
٤٧	الوحي: تعريفه - أنواعه - طرقه
٥٣	المكي والمدني من القرآن الكريم
٦١	أسباب نزول القرآن الكريم
٦٧	الأحرف السبعة التي نزل القرآن الكريم بها
٧٥	المحكم والمتشابه
٧٧	الإحكام الخاص والتشابه الخاص
٨١	العام والخاص
٨٣	أقسام العام
٨٧	ثانياً الخاص
٩١	الناسخ والمنسوخ
٩٤	أقسام النسخ
٩٦	أنواع النسخ في القرآن الكريم

٩٨	حكمة النسخ
١٠٣	المطلق والمقيد
١٠٩	المنطوق والمفهوم
١١٢	تعريف المفهوم وأقسامه
١١٧	إعجاز القرآن الكريم
١٢٢	شروط المعجزة
١٢٣	وجوه إعجاز القرآن الكريم
١٢٥	قصص القرآن
١٢٦	أنواع القصص
١٢٩	الحكمة من تكرار القصص
١٣٣	الأمثال في القرآن الكريم
١٣٧	فوائد الأمثال
١٤١	قواعد رسم المصحف
١٤٩	التفسير والتأويل
١٥١	الفرق بين التفسير والتأويل
١٥٣	شرف التفسير
١٥٧	شروط المفسر وآدابه
١٦٠	آداب المفسر
١٦٣	نشأة علم التفسير
١٦٥	أشهر المفسرين من الصحابة
١٦٩	مناهج المفسرين
١٧٥	أنواع التفسير بالرأي
١٧٩	أشهر كتب التفسير
١٨٠	أشهر الكتب في التفسير بالرأي
١٨١	المراجع